



سلطنة عمان

كلية العلوم الشرعية

(تحقيق: شرح القصيدة الحائية للشيخ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي

من الصفحة ١٢١ إلى نهاية الكتاب)

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس في الشريعة

تخصص / أصول الدين

إعداد الطالب:

حفص بن راشد بن عبد الله الذهلي

٢٠١٩١٠٥١

العام الجامعي

١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

©

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من كان مثال في التفاني والإخلاص، إلى قدوتي؛ ومثلي
الأعلى في الحياة؛ فهو من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ
.....أبي الحبيب.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قدمت سعادتي وراحتي على سعادتها، إلى التي لا أجد
كلمات يمكن أن تمنحها حقها، فهي ملحمة الحب وفرحة العمر،
ومثال التفاني والعطاء
.....أمي العزيزة

إلى سندي وعضدي ومشاطري أفراحي وأحزاني

.....إخوتي الأحباء

إلى جميع الأخلاء الأفاضل؛ أهدي إليكم بحثي العلمي المتواضع.....

شكر وعرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى أولاً وآخره الذي أكرمني من إنهاء هذا التحقيق؛ فله الشكر والحمد والمنة.

وأقدم بالشكر لوالدي العزيزين الذين قدما لي العون والمساعدة في كل أمر من شؤون حياتي فلهما الشكر والتقدير.

والشكر موصول إلى إخواني وأصدقائي لكل ما قدموه لي من نصائح وإرشادات لأجل نجاح هذا التحقيق.

وأقدم بالشكر الجزيل للمشرف فضيلة الدكتور لؤي الشريف على ما قدمه لي من نصائح وإرشادات.

والشكر موصول لكل من قدم لي نصيحة، فجزاكم الله خير الجزاء، والحمد لله رب العالمين.

تعهد

أتعهد أنا الطالب: الرقم الجامعي:

بأن بحثي المقدم إلى المناقشة، جهد فرديّ، ولم أنتحل فيه شيئاً من بحوث الآخرين. وكل ما استفدته، ودونته، كان وفق آداب البحث وقوانينه، من الإجتهد، والنزاهة، والأمانة العلميّة، وسائر الضوابط المنصوص عليها.

وأتحمل المسؤولية التامة في حلة ثبوت خلاف ذلك.

والله على ما أقول شهيد.

التوقيع:

التاريخ:

ملخص التحقيق

١/ عنوان التحقيق: تحقيق جزء من مخطوطة شرح القصيدة الحائية، للشيخ محمد بن يوسف المصعبي رحمه الله من صفحة (١٢١) إلى (١٥١).

٢/ اسم الباحث: حفص بن راشد بن عبد الله الذهلي.

٣/ اسم المشرف: د. لؤي الشريف.

٤/ اسم المناقش: د. خالد سعيد تفوشيت.

٥/ أهمية الكتاب المحقق:

إن لهذا الكتاب أهمية كبيرة بين طلبة العلم وذلك لأنه قام بشرح القصيدة الحائية المسماة بـ(تحريض الطلبة)، التي تدعوا طلبة العلم وتحرضهم على الإجتهد في تحصيله، لأن الناظم في قصيدته يدعوا طلاب العلم إلى التمسك بالعلم والإغتراف من ينابيعه، ففيها من النصائح والمواعظ والحكم ما توقد من همم الطلبة وتشعل فتيل الشغف والرغبة في تحصيله، فيبدلوا أقصى ما يمكنهم أن يبذلوه في سبيل تحصيل العلم النافع، ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب الذي شرح هذه القصيدة وبين هذه الفوائد والحكم بإسهاب شديد مما جعلها سهلة الفهم على جميع شرائح المجتمع، حيث قام بتفصيل فحوى التي تحض على طلب العلم والتمسك به، ففيه الأُنس والطمأنينة والسعادة.

قائمة الرموز والاختصارات

الرمز	دلالة الرمز
ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	رقم الطبعة
و	ولد
ت	توفي
مخ	مخطوط
مط	مطبوع
د.ط	بدون رقم الطبعة
د.م	بدون مكان النشر
د.ن	بدون ناشر
د. ت	بدون تاريخ النشر او الطبع
ق	قرن
"....."	ما بينهما عبارة

ما بينهما كلمات القصيدة	(....)
ما بينهما حديث شريف	«.....»
إلى آخر الكلام	إلخ
المجلد	مج

فهرس الموضوعات

المحتويات

الإهداء.....	ب
شكر وعرفان.....	ت
تعهد.....	ث
ملخص التحقيق.....	ج
قائمة الرموز والاختصارات.....	ح
فهرس الموضوعات.....	أ
المقدمة.....	١
الفصل الأول: التعريف بالناظم والمنظومة والشارح.....	٦
المبحث الأول: التعريف بالناظم.....	٦
المطلب الأول: أصله ونشأته.....	٦
المطلب الثاني: تعليمه وآثاره.....	٧
الفرع الأول: تعليمه.....	٧
الفرع الثاني: من آثاره.....	٩
المطلب الثالث: وفاته.....	١١
المبحث الثاني: التعريف بالمنظومة.....	١٢
المطلب الأول: لمحة عن المنظومة.....	١٢
المطلب الثاني: مما تميزت به القصيدة.....	١٣

المطلب الثالث: شروح للقصيدة الحائية	١٥
المبحث الثالث: التعريف بالشارح	١٦
المطلب الأول: اسمه ومولده	١٦
المطلب الثاني: تعليمه	١٦
الفرع الأول: شيوخه	١٧
الفرع الثاني: تلاميذه	١٨
المطلب الثالث: آثاره العلمية	١٩
المطلب الرابع: وفاته	٢٠
المبحث الرابع: عصر المؤلف:	٢١
المطلب الأول: الحالة السياسية	٢٢
المطلب الثاني: الحالة العلمية	٢٥
المطلب الثالث: الحالة الاقتصادية	٢٨
المبحث الخامس: التعريف بالمخطوط	٣٦
المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف	٣٦
المطلب الثاني: موضوع الكتاب	٣٧
المطلب الثالث: وصف المخطوط	٣٨
المطلب الرابع: عملي في المخطوط	٤٠
القسم الثاني: النص المحقق	٤٦
ملحق	٩٧

٩٩	الفهارس الفنية
٩٩	فهرس الآيات القرآنية
١٠١	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
١٠٤	فهرس الأبيات الشعرية
١٠٥	فهرس الأعلام
١٠٧	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء، واصطفاهم من بين خلقه أيما اصطفاء، وكلفهم بحمل أمانة الأنبياء، فكشف بهم الجهل والبلاء، ونور بهم الظلماء، والصلاة والسلام على إمام الحنفاء، وسيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره ما تعاقب النور والظلماء، أما بعد:

فإن التراث الإسلامي مليء بالكنوز المعرفية، التي اجتهد أصحابها في تأليفها، لتكون موروثا يفتخر به المسلمون، فتراث أي أمة يعد جزءا أصيلا لا يتجزأ من كيائها ووجودها، وبإحيائه وابتعاثه تتسامى في مشارف المجد والحضارة، ونحن كعرب مسلمون عامة وإباضية خاصة نملك من التراث في صنوف العلم والمعرفة تركة كبيرة خلفها لنا آباؤنا وعلمائنا الأوائل، وتشتد حاجتنا إلى إحياء هذا التراث محققا على أسس علمية قويمه، لتعم به الفائدة الكبيرة التي تعود على أيدي الطلاب الدارسين والباحثين بالمنفعة العظيمة.

وهذا الشرح الذي بين أيدينا ليس مستثنى من التراث الإباضي العريق، فهو شرح كان بحاجة إلى من ينتشله ويزيح عنه ركام الغبار، والحمد لله الذي وفقنا أنا وزملائي الآخرين إلى هذا العمل الخير، إذ يعد هذا الشرح؛ من الشروح السهلة التي تذلل للطالب استيعاب أهمية العلم وطلبه، فقد عمد الشيخ إلى أسلوب سهل ممتع في إيصال معنى الأبيات للقارئ.

ومشاركة في خدمة التراث الإسلامي عموما، وتراث هذا الشيخ خصوصا، بادرت في تحقيق هذا المخطوط مع مجموعة من زملائي النجباء، سعيا في إخراج هذا العلم الدفين إلى الساحة الفكرية والمعرفية الإسلامية، فحققت المخطوط من ص ١٢١ - ١٥١، وعنوانه شرح القصيدة الحائية، للشيخ العلامة محمد بن يوسف المصعبي.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن مخطوط (شرح القصيدة الحائية)، لم يحقق من قبل، ولم أجد له دراسات سابقة.

أسباب اختيار البحث:

وإنه مما دعاني إلى تحقيق هذا المخطوط جملة من الأسباب، أهمها ما يلي:

- بغية التعرف والإطلاع على مخطوطات الإباضية والإستفادة منها والإفادة بها.
- لأهمية التراث الإسلامي عامة ولإباضي خاصة، والحاجة الماسة لإخراجه محققا ليسهل على طالب العلم تناوله.
- الرغبة الشديدة في خوض غمار التحقيق، والتعامل مع المخطوطات.
- تصحيح الرؤية عند الآخرين؛ وذلك بإبراز ما يملكه المذهب الإباضي من رصيد فكري ونتاج علمي.

صعوبات البحث:

إن هذا العمل كغيره من الأعمال التي لا تكاد تخلو من صعوبات تواجه أي باحث يسعى لتقديم شيء لهذه الأمة. وعلى العموم فحالي كحال أي طالب علم، إذ مررت بصعوبات عديدة في التحقيق. يمكن إجمالها فيما يلي:

- من أهم الصعوبات التي واجهتني كانت صعوبة الوصول إلى المصادر الأصلية نظرا للوضع الذي كانت عليه مكتبة الكلية، فقد كانت تحت إعادة تصنيف كامل، مما جعل الوصول إلى الكتب صعبا جدا، بل ومتعذرا في بعض الأحيان.

خطة البحث:

الفصل الأول: التعريف بالناظم والمنظومة والشارح.

المبحث الأول: التعريف بالناظم (أبو نصر فتح بن نوح الملوшائي).

المطلب الأول: أصله ونشأته.

المطلب الثاني: تعليمه وآثاره.

الفرع الأول: تعليمه.

الفرع الثاني: آثاره.

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمنظومة.

المطلب الأول: لمحة عن المنظومة.

المطلب الثاني: مما تميزت به المنظومة.

المطلب الثالث: شروح على المنظومة.

المبحث الثالث: التعريف بالشارح (محمد بن يوسف المصعبي).

المطلب الأول: اسمه ومولده.

المطلب الثاني: نشأته وتعليمه.

الفرع الأول: شيوخه.

الفرع الثاني: تلاميذه.

المطلب الثالث: آثاره العلمية.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الرابع: عصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: الحالة الاقتصادية.

المبحث الخامس: التعريف بالمخطوط.

المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

المطلب الثالث: وصف المخطوط.

المطلب الرابع: عملي في التحقيق.

القسم الثاني: النص المحقق.

الفصل الأول: التعريف بالناظم والمنظومة والشارح.

المبحث الأول: التعريف بالناظم.

ترجمة أبي نصر فتح بن نوح الملوشتائي.

هو أبو نصر فتح بن نوح الملوشتائي، من علماء القرن السابع الهجري، عالم فذ، وشاعر

أديب، أخذ العلم عن خاله العلامة أبي يحيى زكرياء بن إبراهيم الباروني^١.

المطلب الأول: أصله ونشأته

ينتمي الشيخ أبو نصر إلى مدينة تملوشايت^٢، بجبل نفوسة^٣ (ليبيا)، وهي تقع على قمة جبل

شامخ

^١ البوصافي، راشد بن سالم، جلي الشروح على نونية فتح بن نوح، ط ١، (بركاء: مكتبة خزائن الآثار، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، ص ٢٤.

^٢ " تملوشايت " مدينة فسيحة تنبسط على قمة جبل شامخ، ترنو إلى مغرب الشمس وتناجي زميلتها " فرسطاء " الجائمة على ضفة الوادي المقابلة. انظر: معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، راجعه. الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابيز، ط ١، (السيب: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص ٣٤٤.

^٣ جبل نفوسة: هو جبل يمتد على شكل قوس أو هلال، وهو امتداد لجبال أطلس المعروفة بجبال " درن " في المغرب الأقصى من بحر الظلمات مروراً بكل من المغرب الأقصى والأوسط والأدنى إلى أن تصل وتلتحم بجبال " قماطة "؛ وهي الهضاب التي تسمى " النقازة " غربي مدينة خمس الليبية الحالية، ويحيط الجبل بمنطقة طرابلس الساحلية كالهلال، حيث يفصل بينها وبين الصحراء في فزان. انظر: مزهودي، مسعود، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ط ١، (السيب: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٢٩.

شرق طمزين^٤ وبالقرب من تندميرة، إذ إن مدخلهما واحد من جهة الجنوب، ويفصلها عن طمزين من الجهة الغربية واد عميق، كانت تملوشايت في فترة من الفترات مدينة علم في جبل نفوسة، فقد قال عنها الشيخ علي يحيى معمر^٥ أنها كانت تنافس عاصمة الجبل شِرُوس العظيمة^٦.

المطلب الثاني: تعليمه وآثاره.

الفرع الأول: تعليمه.

تلقى الشيخ أبو نصر تعليمه في بداياته ببلدته تملوشايت، ثم انتقل إلى المدرسة التي كان يشرف عليها خاله أبو يحيى زكرياء بن إبراهيم الباروني^٧، وكان في دراسته وأخلاقه نعم التلميذ لنعم

^٤ طمزين: هي قرية تقع على ضفة الوادي المقابلة ل (تملوشايت)، وطمزين منطقة غنية بالأحجار، غية بالعلم، غنية بالدين، وقد أنتجت تربتها الخصب من رجال التاريخ من يحق للأمة الإسلامية أن تضعهم في مصاف العظماء. انظر: معمر، علي يحيى، **الإباضية في موكب التاريخ**، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

^٥ هو علي يحيى معمر، (و: ١٣٣٧هـ / ١٩١٩هـ - ت: الثلاثاء ٢٧ صفر ١٤٠٠هـ / ١٥ جانفي (يناير) ١٩٨٠م)، ولد الشيخ علي يحيى معمر بمدينة نالوت بليبيا، له جملة من المؤلفات التي أثرت الساحة المعرفية: "الإباضية في موكب التاريخ"، "الإباضية بين الفرق الإسلامية"، "سمر أسرة مسلمة"، "الميثاق الغليظ"، "الفتاة الليبية ومشاكل الحياة" وطبع بعنوان "الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة"، "الأقانيم الثلاثة أو آلهة الحلوى"، "الإسلام والقيم الإنسانية"، انظر: معمر، علي يحيى، **الإباضية في موكب التاريخ**، مرجع سابق، ص ٨، وابن موسى، محمد وآخرون، **معجم أعلام الإباضية قسم المغرب**، راجعه. د. محمد صالح ناصر، ط ٢، (د.م: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٢٩٨.

^٦ انظر: معمر، علي يحيى، **الإباضية في موكب التاريخ**، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

^٧ هو فضيلة الشيخ زكرياء بن إبراهيم بن زكريا بن موسى بن هارون الباروني، أبو يحيى، (ق: ٧هـ / ١٣م)، كان في القرن السابع الهجري، ينتهي نسبه إلى أبي هارون موسى بن هارون، جد العائلة البارونية في جبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم من أبي يوسف، وجدليلش الأمللي، وعن أبي محمد بن محمد عن أبي سليمان بن داود، وهو ممن جاز عليه نسب الدين في نفوسة. اظر: الشماخي، أحمد بن سعيد، **السير**، تحقيق. أحمد بن سعود السيابي، ط ٢، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ١٨٨. ومعمر، علي يحيى، **الإباضية في موكب التاريخ**، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

الأستاذ، إذ بلغ في العلم كما وصفه الشيخ علي يحيى معمر: "بلغ في الدراسة مبلغا لا يصله إلا قليل من عباد الله المختارين: ثقافة واسعة، وخلق رضي، وإيمان قوي، وشدة في دين الله، وقيام بالحق لا يقوم به إلا عدد ضئيل من أصحاب المبدأ والدين والضمير، فكان إذا ترافع إليه الناس للخصومة جعل بينه وبينهم سترا من باب أو جدار أو غيره، حتى لا يغلبه الحياء فيميل مع أحدهما"^٨، كان الشيخ أبو نصر فقيها عالما، وقاضيا ورعا، فقد بلغت فتاويه كل مكان حتى وصلت إلى تونس الخضراء، فمما يروى عن الشيخ قصة طريفة تدل على عبقريته وسعة علمه، ذكرها الشيخ علي يحيى معمر بأسلوبه الرائع، حيث يقول: " قيل: إن مزارعا تونسيا يملك مخزنا كبيرا ملاءه بمحصول من الحبوب، وكان إلى جواره معمر مسيحي يملك عددا من الخنازير السمان، وغفل التونسي فترك مخزنه مفتوحا فدخلت إليه خنزيرة قدرة، وفي وسط الحبوب ولدت عددا من الجراء، وسال منها على تلك الحبوب ما يسيل من الخنزيرة عند الولادة، وذهب الفلاح التونسي إلى المشهورين من علماء تونس يستفتيهم فيقبلون له أكفهم ويرجون العلم إلى الله ورسوله؛ إن هذه الحالة تقع لأول مرة، ولم تدون في الكتب، وهكذا طاف الرجل على أصحاب العلم في تونس الخضراء فلم يجد من يتشجع ويقول مثلا (إن الأنجاس تزال بالغسل)؛ لأن الناس جميعا يستقذرون الخنازير، ولو أفق أحد الناس بهذا لاتهم في دينه من العوام، وسمع به أحد الناس، فنصح المزارع أن يبعث بسؤاله إلى مدينة (تملوشايت) من جبل نفوسة بليبيا، وبعث الرجل، وبعد أسابيع جاءه الجواب، فكتب إليه يقول: من مدينة

^٨ معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

تملوشايت إلى قرية تونس، وبعد الديباجة قال: ازرعوا الحبوب النجسة تنبت زرعاً طيباً طاهراً، وهكذا عملت العبقرية على حفظ مال الرجل، والإستفادة منه، قد يحق لأبي نصر أو غيره من العلماء أن يفتوا بطهارة الحبوب إذا غسلت وأزيل منها الأذى، ولكنهم يعرفون أن النفوس تستقدر الخنزير وما لمسه، وأنه لا يمكن أن تؤكل هذه الحبوب ولو كانت طاهرة وحلالاً، ولكن زرعها شيء معقول وغير مستقدر، وبهذه المدارك الدقيقة، وفهم أسرار النفوس وأسرار الشريعة يتفاوت العلماء، فما كل من عرف شيئاً يقوى على حل المشاكل والفتوى للناس^٩

الفرع الثاني: من آثاره^{١٠}

١- النونية في أصول الدين (مط)، وقد شرحها الشيخ إسماعيل بن موسى

الجيطالي^{١١} في ثلاث مجلدات، والشيخ عبد العزيز الثميني^{١٢} بعنوان (النور).

^٩ معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

^{١٠} لمعرفة المزيد من مؤلفات الشيخ وآثاره، انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٣٧.

^{١١} هو إسماعيل بن موسى الجيطالي، أبو طاهر، (ت: ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)، عالم جليل، ولد بجبل نفوسة، ونشأ بمدينة جيطال، وبعد المراحل الأولى من التعلم بها، أخذ العلم عن علامة زمانه أبي موسى عيسى بن عيسى الطراميسي، إشتهر الإمام الجيطالي بحافظته القوية العجيبة، حتى لقب بـ "فيلسوف الإسلام"، فكان شيخاً حافظاً، عالماً، عاملاً، شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٧.

^{١٢} هو فضيلة الشيخ العالم العلامة، عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني، الملقب بـ "ضياء الدين"، (و: ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م - ت: السبت ١١ رجب ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م)، علم من أعظم أعلام الإباضية، من بني يسجن بميزاب، له مؤلفات: "الأسرار النورانية"، "معالم الدين"، "كتاب النيل وشفاء العليل"، "التاج على المنهاج"، "عقد الجواهر من بحر القناطر"، "الورد البسام في رياض الأحكام"، ترك مكتبة ثرية انتقلت إلى حفيده محمد بن صالح الثميني، وهي الآن بيني يسجن باسم مكتبة

٢- القصيدة الرائية في الصلاة (مط)، شرحها عدة علماء منهم: الشيخ إسماعيل

بن موسى الجيطالي، الشيخ عبد العزيز الثميني، ومحمد بن سليمان بن ادريسو^{١٣}.

٣- النونية، في موضوع خلق القرآن.

٤- الدالية المسماه ب رسالة المسترشد، وكفاية المستنشد (مخ)، في الوعظ

والإرشاد.

٥- القصيدة البائية، في الأخلاق.

٦- له ديوان شعر، في الأخلاق والعقيدة.

٧- مقامات (مخ)، شرحها الشيخ عبد الرحمن بكلي البكري.^{١٤}

الإستقامة، فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٥٥.

^{١٣} محمد بن سليمان بن صالح اليسجني الميزابي، ابن ادريسو، (ت: ١٢ جمادى الثانية ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م)، شيخ عالم، من مؤلفاته التي لا يزال أغلبها مخطوطا: تفسير القرآن الكريم، بعنوان "اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة"، الذهب الخالص، شرح نونية أبي نصر في العقيدة، شرح مختصر على المنظومة الرائية لأبي نصر في الصلاة، مسلك الذهب في الجوهر والدرر المذهب، بالإضافة إلى هذه المؤلفات ترك مكتبة ثرية تحوي مخطوطات عديدة نادرة في مختلف الفنون، والكثير منها من نسخ أبنائه، وهذه المكتبة لا تزال موجودة في يد حفدته إلى اليوم، فجزاه الله عنا خير الجزاء ورحمه رحمة واسعة. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧٩-٣٨٠.

^{١٤} هو عبد الرحمن بن عمر بن عيسى بن حمو بن باحمد بكلي، الشهير بالبكري، (و: ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م - ت: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)، انتقل إلى تونس لطلب العلم فدرس في الزيتونة على يد فطاحل العلماء، أمثال: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي، والشيخ الطيب سيالة، والشيخ محمد الزغواني، للشيخ آثارا كثيرة ونتاج علمي ضخم بين تحقيق وتأليف، ومن بينها: تحقيق "كتاب النيل" للثميني، وتحقيق كتاب "قواعد الإسلام"، "فتاوى البكري" في جزأين، "وصية البكري" طبعت إثر

المطلب الثالث: وفاته^{١٥}

لم يذكر المؤرخون تأريخ وفاته ولكن من المؤكد أنه عاش أكثر من ستين سنة كما صرح بنفسه في القصيدة النونية، حيث قال:

أراني على الستين عاما ونيفا بمعركة الموتى كهدن على دخن^{١٦}
بل عاش وجاوز السبعين أو ما يقرب من الخامسة والسبعين في العمر، كما صرح بذلك في
بداية الخمسة:

وأرني على السبعين خمسا من العمر^{١٧}

هذا ما تيسر لي جمعه من معلومات عن الشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، فرغم شهرة الشيخ أبي نصر وانتشار قصائده بين طلبة العلم والعلماء، إلا أن المؤرخين لم يوردوا معلومات كافية عن تفاصيل نشأته وحياته، فالشماخي لم يذكر عنه إلا شيئا يسيرا في عدة أسطر ذكر فيها نبذة عنه وبعض مؤلفاته فقط، ولم أجد عنه في كتب الترجمة إلا بعض المعلومات اليسيرة.

وفاته، "جمهرة رسائل البكري" (مخ)، "جمهرة خطب البكري" (مخ)، وغيرها الكثير من الآثار التي تدل على غزارة علمه، رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلمه. انظر: بكلي، عبد الرحمن بن عمر، فتاوى البكري، تحقيق. داود بن عيسى بوفيه، ط ١، (غرداية: مكتبة البكري، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، القسم الأول، ص ١-٥.

^{١٥} انظر: البوصافي، راشد بن سالم، جلي الشروح على نونية فتح بن نوح، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

^{١٦} انظر: أبو نصر، فتح بن نوح، ديوان الشيخ أبو نصر فتح بن نوح، ط ٢، (غرداية: المطبعة العربية، ١٩٩١ م)، ص ٩.

^{١٧} انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠.

المبحث الثاني: التعريف بالمنظومة

المطلب الأول: لمحة عن المنظومة

القصيدة الحائية وتسمى " تحريض الطلبة"، للشيخ العلامة فتح بن نوح الملشائي، جاءت

في مائة بيت على وزن البحر السريع، وتفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن^{١٨}

صاحب هذه القصيدة كما سبق التعريف به عالم جليل، أشبع إيماننا وورعا وزهدا، فرآى

العزلة أنفع له في مجتمع تناوشه الجهلة من الناس، وأصحاب النفوس المريضة والشهوات العريضة.

فكان في قصيدته هذه يدعوا طلاب العلم إلى التمسك بالعلم والاعتزاف من ينابيعه. ففيه

الأنس والطمأنينة والسعادة. وقد رأى الناس في هذه الدنيا التي تلفها ظلمات الجهل من كل جانب

إما أكلا أو مأكولا، وإما صقرا يفترس أو طائرا ضعيفا يقتنص، وأرجع ذلك كله إلى الجهل الذي

استحكم في قلوب الناس، وأفسد الطباع، فحادوا عن نهج الإستقامة واستطابوا اللهو واللعب ومالوا

مع النفس حيث تميل.^{١٩}

^{١٨} انظر: كسكاس، عاشور بن يوسف، مرشد الطلاب تلخيص تحريض الطلبة، د.ط، (مسقط: مكتبة الإستقامة، ١٤٢٠هـ

- ٢٠٠٠م)، ص ٥.

^{١٩} انظر: المرجع نفسه، ص ٥

فمن أجل هذا سطعت هذه القصيدة في مشارق الأرض ومغاربها حاملة معها النور الذي أنار قلوب الناس المنغمسة في ظلمات الجهل، معيدة بذلك لهم الأمل الذي ينتشلهم من تلك المستنقعات الموحشة، فحرضت طلاب العلم على السعي الحثيث في طلبه، والجد والاجتهاد في تحصيله، فذاع صيتها بين مجالس العلم وطلابها، وتنافس العلماء على شرحها وتبيينها، ومن الشروح التي زادتها رونقا وبهاء، شرح العلامة الشيخ محمد بن يوسف المصعبي^{٢٠}، فقد تناولها بالبيان والشرح بطريقة مبسطة وسهلة وسلسلة، لتصل إلى عقول طلاب العلم بسهولة ويسر.

المطلب الثاني: مما تميزت به القصيدة

إن للقصيدة الحائية أو ما تعرف به في التراث الإباضي بـ (تحريض الطلبة)، مميزات عديدة منها:^{٢١}

١ - أن فكرتها الأساسية هي التحريض على الجد والاجتهاد في طلب العلم والمضي قدما في سبيل ذلك، مع بيان ما يساعد على النجاح في الأمر؛ باعتبار ما يكون به العلم نافعا وطالبه ربانيا.

^{٢٠} ستأتي ترجمته في المبحث الثالث، ص ١٦.

^{٢١} انظر: القراري، إبراهيم بن بكير، شرح القصيدة الحائية، تحقيق: بشير بن موسى الحاج موسى، ط ١، (برج البحري، بيك برنت، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م)، ص ١٠.

٢- تتضمن القصيدة بعد الديباجة الدعوة بالخير لأهل العلم العاكفين على تحصيله في

حلقات المشايخ، وإظهار الحنين إليهم والإشادة بهم وبفضلهم في إقامة الدين.

٣- أن الناظم عرج على وصايا ونصائح لطلبة العلم موجزها:

- الجد والاجتهاد والإزدياد في الخير.

- ميزة التعلم في الصغر.

- ضرورة اقتران العلم بالتقوى والورع.

- ميزة التعلم في الصغر.

- المداومة والصبر في طلب العلم.

- واجب الإخلاص في طلب العلم.

- حرمة الأكل بالدين والتحذير منه.

- مغبة النوم في مجلس العلم.

٤. تضمنت القصيدة في ثناياها مجموعة من القيم والأفكار، التي ركز عليها الناظم، مما

له علاقة مباشرة بطالب العلم وصلاحه ونجاحه، منها:^{٢٢}

١. أهمية العلم في الإسلام وتأثيره في حياة المتعلم.

^{٢٢} انظر: القراري، إبراهيم بن بكير، شرح القصيدة الحائية، مرجع سابق، ص ١٠.

٢. التقوى شرط قبول الأعمال.

٣. الكسب الحلال قوام العمل الصالح.

٤. لا يكمل دين المرء إلا بالوفاء بجميع أحكامه فعلا وتركاً.

٥. واجب لزوم التقوى في كل شؤون الحياة.

المطلب الثالث: شرح للقصيدة الحائية^{٢٣}

١. تحريض المبتدئ ومبصر المنتهي، شرح من تأليف الشيخ سعيد بن محمد التغزوييني

الجري^{٢٤}.

٢. شرح الشيخ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي الجري. وهو هذا الذي نحن بصدد التقديم

له.

٣. شرح القصيدة الحائية، للشيخ إبراهيم بن بكر حفار^{٢٥}.

^{٢٣} لمعرفة المزيد عن الشروح، انظر: حفار القراري، إبراهيم بن بكر، شرح القصيدة الحائية، مرجع سابق، ص ٨.

^{٢٤} هو سعيد بن محمد التغزوييني، أبو عثمان، (ت: ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م)، من المشايخ الذين ترأسوا مجالس العلم بجزيرة، كان عضواً بارزاً في حلقة العزابة، إذ تولى رئاستها. درس بجامع وادي الزبيب بجزيرة؛ وكان مهتماً بجمع الكتب واستنساخها. من مؤلفاته: "فتاوى فقهية" (مخ)، "شرح على قصيدة تحريض الطلبة" (مخ)، "شرح على الأجرومية" (مخ). ونذكر من مستنسخاته النفيسة كتاب الصلاة من تأليف مشايخ نفوسة نسة: ٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٤.

^{٢٥} إبراهيم بن أبي بكر القراري، حفار، (و: ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م - ت: ١٧ ذو القعدة ١٣٧٣ هـ / ١٩١٨ م)، يرد اسمه غالباً: إبراهيم بن بكر حفار، إلا أنه في رسالته كان يكتب اسمه حسبما أثبتناه، له مؤلفات وفتاوى ومنظومات مخطوطة منها: "رسالة شروط المفسر" مطولة، "السلاسل الذهبية بالشمال الطفشية" في ترجمة شيخه قطب الأئمة، "شرح الخمسة وتحريض الطلبة

المبحث الثالث: التعريف بالشارح

المطلب الأول: اسمه ومولده

هو العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المصعبي المليكي، الميزابي أصلاً،

والجربي مولداً ومسكناً.^{٢٦}

لم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم تاريخ ولادته، ولكنه توفي في بداية القرن الثالث عشر

الهجري، وعلى هذا يمكن القول أن الشيخ قد عاش في القرن الثاني عشر الهجري إلى بداية القرن

الثالث عشر الهجري.

المطلب الثاني: تعليمه

نشأ الشيخ في جزيرة جربة^{٢٧} وتلقى العلم بها، في مدرسة الجامع الكبير^{٢٨}.

" لأبي نصر فتح بن نوح الملوثائي، " منظومة الحض والنفاس"، " منظومة الصيام"، وقد وضع مع أبي اليقظان إبراهيم عدة حواش - مخطوطة - على كتب من بينها: " حاشية على كتاب الديانات"، حاشية على كتاب الموجز"، "حاشية على الدرر اللوامع"، " حاشية على التكميل لما أخل به كتاب النيل". انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨ - ١٠.

^{٢٦} انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٦.

^{٢٧} جَزْئَةُ: بالفتح ثم السكون، والباء موحدة خفيفة، رواية في جربة وجرب المقدم ذكرهما: قرية بالمغرب لها ذكر كثير في كتاب الفتوح، وقد روي فيها جربة أيضاً، بكسر الجيم، وقيل: هي جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس يسكنها البربر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط ٢، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م)، ج ٢، ص ١١٨.

^{٢٨} الجامع الكبير أو جامع أبو مسور، هو جامع ضخم في جزيرة جربة، نسبته لمؤسسه أبي مسور، يقع بحومة الحشان على بعد ٤ كلم غربي حومة السوق، وهو من أكبر مساجد الجزيرة، أسسه كما تقدم أبو مسور اليهرساني وأتمه ابنه فصيل، وكانت فيه

ثم قام بالتدريس فيها، وتولى رئاسة مجلس العزابة^{٢٩} بعد والده، إذ كان قطبا تدار حوله جميع الأمور في الجزيرة، فهو المرجع في الفتوى، وكل أهل عصره يشهدون له بالعلم والتقوى والنزاهة والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.^{٣٠}

الفرع الأول: شيوخه

أخذ الشيخ العلم عن كثير من علماء عصره، وأولهم والده الشيخ يوسف بن محمد المصعبي^{٣١}، كما أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر بن رمضان التلاتي^{٣٢}، هذان هما الشيوخان الذي أخذ العلم عنهما، ولم تذكر المصادر غيرهم

مدرسة علمية عظيمة دام نشاطها قرابة ١١ قرنا، وتخرج منها العديد من علماء الإباضية بجرية ونفوسة وميزاب. انظر: ابن يعقوب، سالم، آثار جزيرة جربة، حرر السلسلة. عبد الرحمن السلمي، ط١، (مسقط: بيت الغشام للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م)، ص ١٤٠. ^{٢٩} العزابة: هو نظام اشتهر في المغرب الإسلامي وتولى أمر المجتمع الإباضي في العملية التربوية بعد انحيار الدولة الرستمية، وتفرغ علماء الإباضية لبناء المجتمع وفق تعاليم الإسلام، واستعملت لفظة العزابي كلقب لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، ويرى البعض أن لفظة (العزابة)، كلمة معربة عن لفظ (إِعْرَابِيْن) الأمازيغية، وتعني العزلة والانعزال. انظر: الصلابي، علي محمد، الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ط١، (مسقط: مكتبة مسقط، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩)، ص ٥٢٨-٥٢٩.

^{٣٠} انظر: ابن يعقوب، سالم، تاريخ جربة وعلمائها، تقديم. ناجي بن يعقوب، (د.ط)، (د.ن، د.م، د.ت)، ص ١٣٠. ^{٣١} هو فضيلة الشيخ العالم، يوسف بن محمد المصعبي المليكى، أبو يعقوب، (و: ١٠٧٩هـ / ١٦٦٩م - ت: ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م)، ولد ببلدة مليكة بميزاب، من عائلة آل ويرو، صنف تأليف كثيرة، كلها مخطوط، منها: "تحفة الألباب في عذر أولي الألباب"، "فتاوى وأجوبة"، "رسالة في الوصايا والحقوق"، "رسالة في تنجيس أبوالحيوانات"، وغيرها الكثير من الحواشي، فلكثرة حواشيه عد المحشي الثاني بعد أبي ستة بقرن من الزمن، ولكن لا يسعنا المقام لذكرها جميعا. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٩١ - ١٩٢. ^{٣٢} لم أجد له ترجمة.

بل إن أغلب الكتب تذكر بأنه أخذ العلم عن والده ولا تتطرق لذكر المشايخ الآخرين الذين

أخذ عنهم.^{٣٣}

الفرع الثاني: تلاميذه

مما لا شك أن للشيخ محمد بن يوسف المصعبي تلاميذ كثر بحكم تدريسه في مدرسة الجامع

الكبير، ولكن نقتصر على ذكر أبرزهم وأشهرهم نظرا لكثرتهم، فمن أبرز تلاميذه:^{٣٤}

١- الشيخ العالم موسى بن علي الباروني.^{٣٥}

٢- الشيخ أبو العباس أحمد المليكي.^{٣٦}

٣- الشيخ أبو محمد المصعبي.^{٣٧}

^{٣٣} انظر: معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ص ٦١٣، وابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام

الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٦.

^{٣٤} انظر: سالم بن يعقوب، تاريخ جربة وعلمائها، مرجع سابق، ص ١٣١.

^{٣٥} هو موسى بن علي بن محمد بن سليمان الباروني، (ت: ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م)، يعد من العلماء البارزين في المناظرة والكلام، أخذ علم المعقول بجزيرة، عند أبي عبد الله الشيخ محمد بن يوسف المصعبي، ثم سافر إلى جامع الزيتونة بتونس للاستزادة من المعارف، وبرجوعه إلى جربة تولى مهمة التدريس بمسجد الإيمان بحومة صدغيان، تخرج على يديه طبقة من العلماء. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٠.

^{٣٦} هو فضيلة الشيخ أحمد بن رمضان المليكي، أبو العباس، (توفي: ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م)، من مدينة مليكة بوادي ميزاب، انتقل إلى جربة بتونس وعاش بها؛ وتتلמד على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف المصعبي، عالم، ومرجع للفتوى في عصره، تولى التدريس بجامع قايد البلد بجزيرة. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣.

^{٣٧} هو عبد الله المصعبي، أبو محمد، (أوائل ق: ١٣هـ / ١٩م)، أحد الميزابيين الذين رحلوا إلى جربة لطلب العلم، إلا أننا لا نجد له ذكرا بين أبي يعقوب المصعبي، ولا بن أبناء أبي عبد الله محمد بن يوسف المصعبي، أي انه قد لا يكون من هذه العائلة المصعبية

٤ - الشيخ سليمان الباروني.^{٣٨}

٥ - الشيخ أبو الربيع الشماخي.^{٣٩}

المطلب الثالث: آثاره العلمية^{٤٠}

لقد اشتهر الشيخ محمد بن يوسف المصعبي بخطه الجميل، وهذا من الأشياء التي عرفت عنه،

فقد نسخ بخطه الجميل كثيرا من أمهات الكتب؛ وله تأليف عديدة، منها:

١. "شرح لقصيدة تحريض الطلبة"، لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي^{٤١}، وهو المخطوط الذي نحن

بصدده تحقيقه.

التي استوطنت جربة، ويذكر المؤرخ الشيخ سالم بن يعقوب - مؤرخ جزيرة جربة - أنه عاد إلى مسقط رأسه، وبالتالي فميلاده ووفاته بميزاب، انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٦٠.

^{٣٨} هو سليمان بن محمد الباروني الوالغي، (ق: ١٢ هـ / ١٨ م)، أول من عرف من علماء عائلة الباروني بحومة والغ بجربة في تونس. تلقى العلم عن الشيخ محمد بن يوسف المصعبي في جربة وكذلك في مصر، كان من المشايخ البارزين، تولى رئاسة مجلس العزابة وهو مجلس الحكم والإفتاء يومئذ بجربة. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١١.

^{٣٩} هو الشيخ سليمان بن محمد بن عمر الشماخي، أبو الربيع، (ت: ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م)، أحد العلماء الزهاد في جربة بتونس، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن يوسف المصعبي، وذلك بمدرسة الجامع الكبير بالجزيرة، تولى رئاسة مجلس التدريس بالجامع المذكور بوصية من شيخه وتخرج على يديه تلاميذ منهم: عباد بن عمر بن قيراط، وسليمان بن قاسم الجادوي، ويحيى الباروني، في عهده وردت إلى جربة أول نسخة من كتاب النيل للثميني، فنسخها ابنه قاسم فانتشرت النسخ في الآفاق. انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٢.

^{٤٠} انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٠٦.

^{٤١} سبق التعريف به في المبحث الأول.

٢. " حاشية على الإجازات"، المنسوب للشيخ يحيى الجناوني.

٣. " حاشية على كتاب تبين أفعال العباد"، للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر.^{٤٢}

٤. " رسائل وفتاوى وأجوبة"، في مختلف الفنون الشرعية.

المطلب الرابع: وفاته

توفي الشيخ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي ليلة الجمعة، في شهر ربيع الأول سنة

١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م. وضرّحه بروضه جنوب الجامع الكبير مع والده الشيخ يوسف والشيخ

إسماعيل الجيطالي، رحمهم الله جميعا.^{٤٣}

^{٤٢} هو فضيلة الشيخ أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي، أبو العباس، (توفي: ١٠ ذو الحجة ٥٠٤هـ / ١٨ جوان ١١١١م)، عالم فذ من علماء الإباضية وعاش في أواخر عمره في وارجلان، من تآليفه الكثيرة نذكر: كتاب "القسمه وأصول الأرضين، في ثمانية أجزاء، طبع في سلطنة عمان، ثم أعيد طبعه لاحقا في الجزائر، كتاب في التوحيد" مما لا يسع الناس جهله"، وغير ذلك من مسائل التوحيد (مخ)، منه نسختان بحجة ذكرهما النامي، كتاب "السيرة في الدماء والجراحات" (مخ)، "كتاب الديات" (مخ)، باب في الفتنة، لا نعرف عنوان هذا المؤلف (مخ)، الجامع المعروف بـ "أبي مسألة" (مخ)، "تبين أفعال العباد" في ثلاثة أجزاء (مخ)، "كتاب الألواح" وهو الكتاب الذي تركه في الأولواح قبل وفاته مباشرة (مخ). انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٨-٤٩.

^{٤٣} انظر: سالم بن يعقوب، تاريخ جربة وعلمائها، مرجع سابق، ص ١٣١.

المبحث الرابع: عصر المؤلف:

لقد عاش الشيخ الفقيه العلامة محمد بن يوسف المصعبي في القرن الثاني عشر إلى

بداية القرن الثالث عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، في فترة حكم باي^{٤٤} تونس حمودة

باشا^{٤٥}، الذي تمت بيعته سنة ١٧٨٢م^{٤٦}، وعين كحاكم رسمي للإيالة^{٤٧}.

^{٤٤} الباي: تعني في اللغة التركية الرجل الغني أو الرجل العظيم، وهذا اللقب يطلق على الوالي العثماني أيام السيطرة العثمانية على تونس آنذاك، فقد كانت تسند إلى الباي بعض الوظائف والخطط العالية الأخرى، وكان مقره في تونس، ثم ثار في عهد الحسينيين مستقلا بحكمه عن العثمانيين، وأولهم حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية ١٧٠٥م، وهو أول من تلقب بلقب باي تونس. انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، رسالة دكتوراه في الفلسفة، (د.ط)، (بيروت: الجامعة الأمريكية، د.ت)، ص ٤٥.

^{٤٥} حمودة بن علي باشا الحسيني، (و: سنة ١٧٥٩م - ت: ١٨١٤م)، ولد في الجزائر من جارية قرجية الأصل اسمها محبوبة، تزوجها والده علي باشا هنالك أيضا، وهو ابنه الأكبر، لقد أظهر حمودة باشا مقدرة وكفاءة تعدتا مقدرة جميع بابايات الدولة الحسينية، حيث أنه ما لبث أن جلس على كرسي الحكم حتى شرع في مزاوله أمور البلاد والنظر في مصالحها، حيث أن الباي حمودة باشا يعتبر من البابايات الحسينيين الأوائل الذين حاولوا النهوض بإيالة تونس، وذلك من إصلاحاته التي مست مختلف المجالات، فمن خلالها ظهر استقرار وتحسن ملحوظ لم تشهده الإيالة من قبل. انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٦٧-٧٦.

^{٤٦} انظر: محمدي، رزقة، الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا، دراسة منشورة في مجلة كلية التربية الأساسية التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٠، كانون الأول / ٢٠١٦م، ص ٨٧.

^{٤٧} الأيالة: هو لفظ مرادف لـ (الولاية)، وهذا اللفظ استخدم لتسمية أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إداريا إلى أيلات، والأيلات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الأيلات في الدولة العثمانية أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للأيالة، ولهم النفوذ المطلق - ما عدا الحالات القضائية - عليها. انظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة. عبد الرازق محمد حسن بركات، (د.ط)، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٤٥.

المطلب الأول: الحالة السياسية

لقد كانت الأوضاع السياسية في عصر الشيخ محمد بن يوسف المصعبي تصب في صالح الباي حمودة الباشا، وذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية من جهة واختلاف الدول الأوروبية وعدم اتحادها في وضع حد للقرصنة التونسية والرق بالقوة من جهة أخرى.

١. ضعف الدولة العثمانية:

ويمكن الحديث عن مظاهر ضعف الدولة العثمانية في عهد حمودة باشا من خلال تتبعنا بشكل عاجل وموجز لوضعها في أوروبا ولوضعها الداخلي:

أ. وضع الدولة العثمانية في أوروبا:

أما عن وضع الدولة العثمانية في أوروبا فإننا نلاحظ أنه منذ أن تورطت أوروبا في حرب وراثة العرش النمساوية^{٤٨} (١٧٤٠ - ١٧٤٨م)، وحرب السبع سنوات^{٤٩} (١٧٥٦ - ١٧٦٣م)، والحرب

^{٤٨} حرب وراثة العرش النمساوية: هي حرب وقعت بعد وفاة إمبراطور النمسا شارل السادس، واعتلاء ابنته تيريزا العرش، حيث نقضت عدة قوى أوروبية إقرارها وحاولت انتزاع الأراضي منها بالقوة، فانقسمت الدول الأوروبية إلى حلفين، الول بروسيا وفرنسا وبافاريا وإسبانيا، والثاني، النمسا وبريطانيا وهولندا وسردينيا، واستمرت الحرب سنوات طوال دون حسم، إلى أن رغبت الدول في السلم، ووقعت معاهدة أكس لا شاييل عام ١٧٤٨م، وأعيدت الحالة إلى ما كانت عليه قبل قيام الحرب، ما عدا أخذ فريدريك ليسيليزا مقابل اعترافه بزواج ماريا تيريزا إمبراطورا. انظر: الزيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط٣، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ج١، ص٥٣٢.

^{٤٩} حرب السبع سنوات: هي حرب نشبت بين فرنسا والنمسا وروسيا والسويد والساكس من جهة، وبريطانيا وبروسيا من جهة أخرى، بسبب تنافس فرنسا وبريطانيا على الهيمنة على أوروبا والتجارة العالمية. وانتهت الحرب بمعاهدة باريس التي تنازلت بموجبها فرنسا لبريطانيا عن الهند، عدا خمس مدن منها، وكندا والصفة الشرقية لنهر المسيسيبي، وتنازلت لحليفتها إسبانيا عن الضفة الغربية

التي نتجت عن تقسيم بولندا المرة الأولى^{٥٠} (١٧٧٢م)، منذ تلك الأحداث تبين أن ضعف الدولة العثمانية أصبح غير مخفيا، فإن بعد تلك الدولة عن الحرب مدة جيل كامل حرم جيوشها من الخبرة العسكرية، وسبب لها تقهقرا ملحوظا في هذا الميدان، وقد كانت معاهدة بلغراد^{٥١} (١٧٣٩م) بداية سرعة ذلك الانحطاط. هذا بالإضافة لأسباب أخرى علمية وسياسية وإدارية واقتصادية وغيرها، أسرعت في ذلك الانحطاط الذي تخبطت فيه الدولة العثمانية.^{٥٢}

ب. وضع الدولة العثمانية من الداخل:

ولم تكن الوضع الداخلي بالنسبة للدولة العثمانية أفضل من أوضاعها الخارجية في أوروبا وغيرها، فقد قامت الثورات والإنقلابات ومحاولات الإستقلال في جميع الجهات، في محاولات لتقسيم المساحات الشاسعة من الدولة العثمانية، فقد قامت ثورات في كل من الشام ومصر والمغرب العربي

للنهر مقابل تنازل إسبانيا عن فلوريدا لبريطانيا، واسترجعت إسبانيا جزيرة ميورقة من بريطانيا. انظر: الكتاني، علي بن محمد، **إنبعث الإسلام في الأندلس**، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ٢٢٩.

^{٥٠} كان ضعف بولندا قد أدى إلى اتفاق بروسيا والنمسا وروسيا عام ١٧٧٢م إلى تقسيم بولندا وضم بعض أجزائها إلى ممتلكاتهم، وتم توقيع إتفاقية التقسيم في فيينا، وفي أوائل أغسطس، غزت القوات الروسية والبروسية والنمساوية الكومنولث في وقت واحد واحتلت المقاطعات المتفق عليها فيما بينها؛ في ٥ أغسطس ١٧٧٢م، وسمي بالتقسيم الأول لبولندا. انظر: الزيدي، مفيد، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢٠.

^{٥١} معاهدة بلغراد والمعروفة باسم صلح بلغراد، هي معاهدة سلام وقعت في جمادى الآخرة ١١٥٢هـ / ١٨ سبتمبر ١٧٣٩م، وقعت الدولة العثمانية معاهدة بلغراد مع كل من ألمانيا وروسيا، وتعهد فيها الألمان بتسليم بلغراد للدولة العثمانية بعد احتلال دام ٢٢ سنة، وتعهدت روسيا بهدم قلعة آزاك وتسليم أرضها للعثمانيين وألا تبخر أية سفينة روسية في البحر الأسود. انظر: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، **الموسوعة التاريخية**، (موقع الدرر السنية على الإنترنت net.dorar، ١٤٣٣هـ)، ج ٨، ص ٣١٤.

^{٥٢} انظر: الإمام، رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس**، مرجع سابق، ص ١٤٠.

وفي بلاد الحجاز، كل هذه الثورات إضافة إلى التكالب الأوربي والروسي على هذه الدولة قد تسبب في إنهاكها وتراجعها وضعفها بصورة كبيرة جدا، فالتفكك الجغرافي والضعف الذي بلغته هذه الدولة في الفترة قبيل وخلال عهد الباي حمودة باشا قد ساهم في تكوين سياسته في الحكم، سواء الداخلية منها أو الخارجية.^{٥٣}

٢. اختلاف الدول الأوروبية وعدم اتحادها في وضع حد للقرصنة التونسية والرق بالقوة:
من الأوضاع الدولية التي أثرت في سياسة حمودة باشا بالإضافة إلى ضعف الدولة العثمانية الذي بيناه سابقا، عامل آخر كان له تأثيره الملحوظ أيضا في ذلك الباب. هذا العامل هو عدم اتحاد الدول الأوروبية في إيقاف القرصنة التونسية عند حدها في الفترة التي تهمنا، وهو أمر قد ساعد في إيجاد ظروف مناسبة بالنسبة للباي ليكون السياسة التي يرتئها لبلده، ويسير على مقتضاها في الداخل والخارج، دون خوف من أية قوة بحرية أوروبية موحدة تهدده في استمرار نشاط قراصنته الذين يضمنون له المال والهيبة والشهرة، وحتى بعض الدول الأوروبية التي تجرأت وبعثت بأساطيلها فرادى لمكافحة القرصنة التونسية لم يحالفها الحظ قط، ولم تجد مخرجا لتلك القضية إلا بالرجوع إلى إجراء المفاوضات وعقد المعاهدات مع الباي، لأنه هو الحل الأفضل للمحافظة على مصالح تجارتها في خوض البحر الأبيض المتوسط.^{٥٤}

^{٥٣} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ١٤٩.

^{٥٤} انظر: المرجع نفسه، ص ١٥٠.

ومع هذه الأحداث الجمة التي صبت في مصلحة الباي حمودة باشا حاكم تونس في تلك الفترة الذي استطاع بذلك تكوين سياسته الخاصة في تونس دون تدخل من القوى الخارجية التي كانت مهيمنة على العالم آنذاك، فقد أظهر اهتمامه بحفظ الأمن ونشر روح الإطمئنان والاستقرار في بلاده، وبذلك تحقق ضمان الأمن لجميع سكان تونس على اختلاف مللهم.^{٥٥}

وعلى هذا نستطيع القول بأن الفترة التي عاش بها الشيخ محمد بن يوسف بن محمد المصعبي كانت متسمة بالأمن والأمان والإطمئنان، فالأوضاع السياسية التي كانت تسود العالم آنذاك تصب في صالح تونس التي ابتعدت عن الحروب السياسية في تلك الفترة، فعم الأمان على أهل تونس، ومن ضمنها بطبيعة الحال جزيرة جربة التي كانت موطن الشيخ.

المطلب الثاني: الحالة العلمية

أما من الناحية العلمية فقد كانت الحالة العلمية في ذلك الوقت، فقد كانت ممتازة على حد ما، وذلك يرجع إلى عدة نقاط استنتجتها من خلال المصادر التي تحدثت عن حال تلك الفترة.

١. وجود علماء بارزين في ذلك العصر:

من العوامل التي ساهمت في تحسين الحالة العلمية في ذلك العصر وجود عدد من العلماء الكبار الذين أثروا الساحة العلمية في تونس. ومنهم الشيخ يوسف بن محمد المصعبي المليكى، يعد

^{٥٥} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

من العلماء الكبار في ذلك العصر، كان يعظ الأمراء والحكام، لا تأخذه في الله لومة لائم، وله في نفوسهم مكانة رفيعة، ومنزلة سامية، إذ يعد من العلماء المجددين في العالم الإسلامي في ذلك العهد.^{٥٦}

إضافة إلى قيام حركة إصلاحية في الجزائر على يد تلميذه الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي^{٥٧}، الذي أحيا بهذه الحركة وادي ميزاب، فعلم وأرشد، ووجه وسدد، وشمر عن ساعد الجد في الإصلاح والتعليم والوعظ والإرشاد، ثم بعد ذلك أنظم إلى حلقة العزابة ببلدته، وقد صدرت في عهده تقنينات تهدف إلى تنظيم المجتمع في مختلف مناحي حياته.^{٥٨}

٢. دعم السلطة للمجال الديني:

مما لا شك فيه أنّ دعم السلطة الحاكمة في تونس للشؤون الدينية أثره البالغ والمؤثر في تحسن الحالة العلمية سواء في ذلك العصر أو غيره من العصور، فقد كان الباي حمودة باشا حاكم تونس آنذاك يحترم العلماء ويقدرهم، فقد بدأ في إنعاش وإحياء الجانب الثقافي الذي قام به والتي عاشها

^{٥٦} انظر: معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مرجع سابق، ص ٦١٣.

^{٥٧} الشيخ العالم العلامة يحيى بن صالح ابن يحيى الأفضلي، أبو زكرياء، (و: ١١٢٦هـ / ١٧١٤م - ت: ٢٥ رجب ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م)، من العلماء الأعلام، وكبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، له مؤلفات منها: ترك ما لا يقل عن عشرين نصا ما بين رسالة وحاشية، " شرح قصائد ابن زياد العماني في الأحكام والعيوب والشفعة وغيرها " (مخ)، " شرح على قصائد الصوم والحج والزكاة زكفارة الأيمان من دعائم ابن النظر العماني " (مخ) منه نسخة بمكتبة آل الفضل، إضافة إلى مكتبة ثرية يتوارثها ذووه أبا عن جد، عملت جمعية التراث على إحصاء مدخراتها وتسجيلها، في إطار مشروعها " دليل مخطوطات وادي ميزاب".

انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٦٠ - ٤٦١.

^{٥٨} انظر: ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٦٠.

حمودة باشا نفسه، فسعى للإبقاء على حالة الإزدهار العلمي الذي كانت تتمتع به تونس في عهد والده.^{٥٩}

فقد كان ذا غيرة شديدة على الدين الدين الإسلامي، وتعظيم للشريعة المطهرة، فمما يدل على تدينه كما يذكر عنه، أنه قام بإحياء مسجد بالعاصمة تونس لا يزال يعرف باسم مسجد حمودة باشا.^{٦٠}

إن من الأمور التي تحسب لهذا الباشا في حفاظه على العقيدة الإسلامية هي محاربته للبدع التي كانت سائدة في عقول الناس، ناتجة عن الجهل بأمور الدين الإسلامي الحنيف، فمما يروى عنه كسره لحجر كان الجهال من الناس يذبحون له الذبائح والقرايين ثم يلقيونها في الماء، ومن هؤلاء من كان يشترط عدم التسمية عند ذبح تلك الذبائح، ويوجد هذا الحجر في ضاحية شمالية من ضواحي مدينة تونس مطلة على البحر يطلق عليها اسم " سيدي أبي سعيد"، تم إبطال هذه البدعة بفتوى من المفتي أبي العباس أحمد البارودي.^{٦١}

^{٥٩} انظر: آمال مسهل، حمودة باشا الحسيني ودوره في بعث الوطنية التونسية، (د.ط، جامعة محمد بو ضيفاف - المسيلة، د.م، د.ت)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، ص ٤٤.

^{٦٠} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٢٤١.

^{٦١} الشيخ المفتي أحمد بن حسين بن إبراهيم البارودي، أبو العباس، (ت: ٢٢ شوال ١٢٢٩هـ / ٧ أكتوبر ١٨١٤م)، لما توفي ابن أخيه حلف عليه الأمير فأولاه الفتيا سنة ١٢١٩هـ، وأضاف له عند ذلك خطبة باردو ودروس التجويد، ودرس الجامع الكبير، فقام بأداء ما كلف به أحسن قيام، فزان المنبر والمحراب. انظر: ابن أبي الضيفاف، أحمد، إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق. لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، (د.ط)، (د.م، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م)، ج ٧، ص ٨٦-

وقد حضر الباي حمودة باشا بنفسه شخصيا ليشرف على تنفيذ قرار كسر ذلك الحجر.^{٦٢}
ومن خلال ما أشرنا إليه في هذا المطلب يمكن القول بأن الحالة العلمية في عصر الشيخ
محمد بن يوسف المصعبي كانت مزدهرة نظرا للأسباب السابقة التي ساعدت في ارتقاء العلم والعلماء،
إضافة إلى مساندة السلطة الحاكمة متمثلة في الباي حمودة باشا، الذي أولى اهتماما واضحا في
الإرتقاء بالحياة العلمية في تونس.

المطلب الثالث: الحالة الاقتصادية

لقد كانت الحالة الاقتصادية في عصر الشيخ محمد بن يوسف المصعبي ممتازة إلى حد ما،
ويعود سبب ذلك الإصلاحات التي قام بها حاكم تونس في ذلك العهد الباي حمودة باشا، بعد أن
تمت البيعة الرسمية له بعد وفاة والده وتعيينه كحاكم رسمي للإيالة، حيث أنه ما لبث أن جلس على
كرسي الحكم حتى شرع في مزاولة أمور البلاد والنظر في مصالحها، وأولها على الصعيد الاقتصادي
التي يمكن من خلاله تحقيق النجاح في المجالات الأخرى.^{٦٣}

٨٩، والسنوسي، محمد بن عثمان، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق. الشيخ محمد الشاذلي النيفر، ط١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م)، ج٢، ص٦٣-٧٧.

^{٦٢} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص٢٤٩.

^{٦٣} محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص٨٧.

حيث أن قوة أي بلاد لا تتأتى إلا من خلال قوة اقتصادها، لذلك يمكننا طرح التساؤل التالي: كيف كان اقتصاد ايلة تونس زمن حمودة باشا؟ هل واجهته في ذلك صعوبات؟ ماهي؟ ما هي الجهود التي بذلها للنهوض بهذا القطاع وسوف نفصل للإجابة على هذه التساؤلات وفق النقاط التالية:

١. ظروف تولي حمودة باشا الحكم والصعوبات التي واجهها للشرع في إصلاحاته؟

لم يكن من السهل أن يعزز حمودة باشا إمكانيات البلاد الاقتصادية نظرا للظروف الصعبة التي كانت تعاني منها الدولة:

أولا: العجز التي كانت تعانيه خزينة الدولة أثناء تولي حمودة باشا الحكم، حيث وجدها في وضعية حرجة، عبر عنها حمودة باشا في رسالة وجهها بخط يده إلى زوج شقيقته، يعلمه فيها بأنه وجه إليه المال الذي طلبه منه، وأنه تعذر عليه ذلك سابقا لعدم توفر المال، وطلب منه في آخر الرسالة إحراقها لأنه تخوف من أن يطلع عليها آخرون، وبالتالي ينكشف الوضع المالي الذي كان سائدا في البلاد تخوفا من أي اضطرابات.^{٦٤}

^{٦٤} انظر: محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بايالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص ٨٨.

ثانيا: أما الأمر الثاني فهو الأوبئة والقحوط التي كادت أن تكون متواصلة سنة بعد سنة، وهي الكوارث الطبيعية التي أحدثت في تونس من الموت والخراب ما كاد أن يأتي على العديد من سكان تونس في عهد حمودة باشا.^{٦٥}

٢. ما هي الجهود التي بذلها للنهوض بهذا القطاع؟

إن مما تجدر الإشارة إليه، أنه رغم هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، إلا أن الباي حمودة باشا استطاع أن يتجاوز الصعاب، ويتمكن من مواصلة مشروعه الإصلاحية، الذي بواسطته تسترجع البلاد رمتها وتحيي ما اندثر من قوتها، فحاول بكل الوسائل والطرق لإعادة الحياة الاقتصادية، ويمكن أن نجمل هذه الجهود والحلول فيما يأتي:

أ. في المجال الزراعي:

١. تشجيعه للنشاط الفلاحي:

لقد كان أغلبية من كان يمارس النشاط الزراعي في إيالة تونس هم المهاجرون الأندلسيون الذين جلبوا معهم الكثير من أنواع المحاصيل التي لم تعرف في شمال إفريقيا، كما جلبوا معهم تقنيات جديدة في الري لم يعرفها المزارعون التونسيون من قبل. إلا أن هذا لم يمنع من أن الأهالي التونسيون

^{٦٥} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

كانوا هم الآخريين يمارسون النشاط الفلاحي. ولتشجيعه الأهالي في ممارسة الفلاحة أراد أن يكون

الباي حمودة باشا بنفسه قدوة لرعيته، إذ كان ينزل بنفسه إلى الحقول ويباشر العمل فيها.^{٦٦}

٢. حماية الفلاحين من ظلم الملتزمين:

لم يكن الباي بغافل عما كان يمارسه الملتزمون^{٦٧} من ظلم في حق المزارعين، فهم بالإضافة إلى

الراضي التي منحتهم إياها الدولة، فقد كانت أيديهم تميل إلى أراضي المزارعين بحجة أن تلك الأراضي

هي ملك للدولة، وان هذه الأخيرة التي سمحت لهم بفعل ذلك. ولمكافحة هذه الظاهرة فقد سار

الباي على نفس خطى والده، إذ كان يسمح للفلاحين الذي نهب منهم أراضيهم برفع شكاويهم

إلى وكيل الباي، والذي بدوره يرفعها إليه للنظر فيها.^{٦٨}

٣. التشجيع على زيادة الإنتاج وتحسينه:

كانت زيادة الإنتاج الزراعي للبلاد التونسية إحدى أهم شواغل الباي حمودة باشا منذ أن

تولى الحكم، فقد كان كثيرا ما يبحث على العمل وينبذ البطالة، وقد أثر عنه أنه يقول في مجالسه: " لا

^{٦٦} انظر: محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بايالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص ٨٩.

^{٦٧} الملتزمون هم المسؤولون عن تطبيق نظام الإلتزام، وهو عبارة عن تقديم مصادر الدخل الحكومي للمتعهدين مقابل مبالغ مالية مقطوعة، بحيث يدفعها المتعهد (الملتزم) مقدما للدولة، ثم يحصلها مع أضعاف مضاعفة من المجتمع بالإستناد إلى قوات حكومية، وقد بدأ هذا النظام في القرن السابع عشر الميلادي، وكان له تأثير على الحكومة، كان إيجابيا، نظرا لحصولها على الأموال من مصادر دخلها مقدما. وقد ألغي هذا النظام في ١٨ شباط ١٨٥٦م. انظر: صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مرجع سابق، ص ٣٥.

^{٦٨} انظر: محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بايالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص ٩٠.

أبغض أحدا من أهل بلادنا إلا البطال الذي لا نفع فيه للوطن، ولو يرمى البقر^{٦٩} فكان يشجع على العمل وزيادة الإنتاج على الرغم من امتياز المنتجات الفلاحية التونسية وجودتها، كان دائما يسعى إلى حث المواطنين على العمل وزيادة السعة الإنتاجية.

ب. في المجال الصناعي:

١. عنايته بالصناعة المحلية:

لم تكن الصناعة أقل أهمية من النشاط الزراعي، حيث لقي هذا النشاط هو الآخر عناية من طرف الباي، فقد كان يشجع على الصناعة المحلية، فقد كان لا يلبس إلا ما تنتجه بلاده من الملابس ومنسوجاتها المصنوعة محليا.

ومن الصناعات التي كانت رائجة في البلاد:

١. صناعة الحرير: عرفت هذه الصناعة رواجاً كبيراً بإيالة تونس، ولهذه الصناعة معلمون عارفون

بها حيث يصنعون مناديل من الحرير تصنع بالفضة تغطي به المرأة التونسية رأسها.^{٧٠}

^{٦٩} انظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٧٨.

^{٧٠} انظر: محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص ٩٢.

٢. الصناعة النسيجية: كان يتواجد بتونس مناطق تهتم بصناعة النسيج وهي: سوسة^{٧١}، الحمامات،

الجريد، جربة، ويذكر أنه كان يصنع فيها نسيج الصوف ونسج الحرير^{٧٢}.

٣. صناعة العطور: كانت الأشجار المزهر في البلاد التونسية كثيرة وممتازة الأنواع إلى حد جعل الأب

رينال يرشح معظمها بكونها أجمل ما يوجد في العالم. واختص بالذكر منها شجرة البرتقال والورد،

وكان التونسيون قد استطاعوا الحصول على زهرة برتقال قوة أريجها يفوق قوة أريج زهور مالطة

الشهيرة، أما الورود التونسية فقد كان يصنع منها " ماء الورد " وعطرا لا يقلان جودة إلا بمقدار يسير

عن تلك التي توجد في بلاد الهند^{٧٣} الغالية الثمن^{٧٤}.

ج. في المجال التجاري:

اهتم الباي حمودة باشا بالتجارة بنوعيتها الداخلي والخارجي، وفيما يلي تفصيل لذلك:

١. اهتمامه بتنشيط التجارة في الداخل: من مظاهر سياسة حمودة باشا في الداخل،

^{٧١} سوسة: مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر؛ ينتهي البحر إليه ويضرب فيه، وبها آثار الأوائل، وإليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية، والمسافرون يقصدونها من الآفاق. انظر: التيجاني، عبد الله بن محمد، رحلة التيجاني، قدم لها. حسن حسني عبد الوهاب، (د.ط)، (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م)، ص ٢٥.

^{٧٢} انظر: ابن أبي الضياف، أحمد، تحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٠١.

^{٧٣} بلاد الهند: هي شبه جزيرة تشبه في منظرها قارة إفريقيا بوجه عام، في عبارة عن مثلث غير منتظم الأضلاع قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل، وقاعدته جبال الهملايا الشاخنة، ورأسه رأس كوماري، انظر: شبلي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ط ١، (القاهرة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٨٤)، ص ١٨.

^{٧٤} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٢٩١.

تنشيطه للتجارة في داخل بلاده. وقد اتخذت تلك السياسة مظاهر عديدة نتج عنها انتعاش تجاري في الداخل والخارج على حد سواء. وهو الباي، صاحب هذه السياسة، الذي يصف صاحب الإتحاف عهده بقوله: "واقبلت الناس في دولته على الفلاحة والمتاجر والصناعات، وكثر العمران، وامت الأموال، وظهرت الثروة"^{٧٥}، ومن مظاهر ذلك التنشيط الداخلي الإجراء الذي اتخذه حمودة باشا يمنع به التجار الأجانب من ابتياع المحصولات الزراعية، من المزارعين مباشرة، بل يجب أن يتم ذلك بواسطة تجار تونسيين. وقد اتخذ الباي هذا التدبير لسببين، هما:

أ. ضمان ربح للتجار المحليين على كل صفقة.

ب. حماية الفلاح من الغبن الذي كان يحصل له عندما يبيع كل محصوله أو جزءا منه قبل

وقت الحصاد بأثمان بخسة.^{٧٦}

٢ سياسته التجارية من الخارج: لقد طبق الباي حمودة سياسته التجارية في الخارج وفق أساليب عدة منها:

أ. تشجيعه التونسيين على تولي شؤون التجارة الخارجية، فقد كان أغلب التونسيين في أول

عهد الباي حمودة باشا لا يهتمون بأشغال التجارة الخارجية،

^{٧٥} انظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٧٨.

^{٧٦} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

بل كان هم التونسيين آنذاك، هو الحصول على منصب للعمل في حقل الزراعة.^{٧٧}

ب. ومن الطرق التي اتبعها الباي أيضا أن قام بإصدار رخص تصدير الحبوب أو الزيت لبعض

التونسيين، وهؤلاء يبيعونها بدورهم لغير أهل المملكة من التجار، فيحصل ربح للتجار

التونسيين من تلك العملية.^{٧٨}

ج. ومن طرقه أنه عفا أهل المملكة من دفع الضريبة المقررة على تصدير الحبوب والزيت من

تونس، وإنما يدفع الضريبة من هم ليسوا من أهل المملكة من التجار.^{٧٩}

ومن هنا وعلى ما تم ذكره يتبين لنا أن الرخاء الذي أضحت تونس تعيشه في عهد الباي

حمودة باشا، مرده إلى السياسة التي انتجتها للنهوض باقتصاد تونس، إذ يذكر أن مداخل الدولة

تحسنت كثيرا عما كانت عليه من قبل، ويتجلى ذلك الرخاء في ملاحظاته التي سجلها في مذكراته،

عندما ذكر أن تونس تنتج كميات كبيرة من القمح تعادل أو تفوق ما تنتجه باقي بلدان شمال

إفريقيا.^{٨٠}

ومن خلال ما سبق نستنتج ان الحالة الاقتصادية في زمن الشيخ المصعبي كانت ممتازة جداً.

^{٧٧} انظر: ابن أبي الضياف، أحمد، اتخاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مرجع سابق، ج٧، ص٩٦.

^{٧٨} انظر: المرجع نفسه، ج٣، ص٩٦.

^{٧٩} انظر: الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، مرجع سابق، ص٢٩٥.

^{٨٠} انظر: محمدي، رزيقة، الإصلاحات الاقتصادية بايالة تونس في عهد حمودة باشا، مرجع سابق، ص١٠٠.

المبحث الخامس: التعريف بالمخطوط

المطلب الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

لقد اتفقت المخطوطات التي وجدتها على اختلاف نسخها على اسم هذا الكتاب وعلى اسم مؤلفه نصا منصوصا عليه في كلا المخطوطتين بخط الناسخ نفسه.

ففي المخطوطة (أ)، جاء بخط الناسخ ما نصُّه: "هذا شرح القصيدة الحائية للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي رحمه الله تعالى ونفعنا به للعلامة المحقق أبي عبد الله، شيخنا محمد المصعبي حفظه الله تعالى".

وفي المخطوطة (ب)، جاء ما نصُّه: "هذا شرح القصيدة الحائية، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي رحمه الله تعالى ونفعنا به، للعلامة المحقق أبي عبد الله، الشيخ محمد المصعبي رحمه الله".

هذا بالإضافة إلى ذكر هذا الشرح في كثير من كتب التراجم والكتب التي عدت كتب شروح قصيدة أبي نصر فتح بن نوح، وعليه يمكن القول أن المصادر قد اتفقت على اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب

يتناول هذا الكتاب شرح القصيدة الحائية المشهورة بـ(تخرض الطلبة) لأنها تخرض الطلبة على العلم وتشجعهم عليه، وهي من نظم الشيخ العلامة أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، وقد شرحها الشيخ محمد بن يوسف المصعبي في كتابه هذا بشكل مفصل مع الإسهاب في تبين المعاني وسوق الأدلة لكل بيت من الأبيات الشعرية، غير أن الشيخ محمد بن يوسف المصعبي لم يقيم بتقسيم كتابه إلى فصول أو أبواب، بل شرع في شرح القصيدة دون الإلتفات إلى تقسيم معين، فكان كلما انتهى من شرح مجموعة من الأبيات شرع مباشرة في شرح مجموعة أخرى من الأبيات، وهكذا حتى نهاية القصيدة، وكان يكثر من النصح والتمثيل وذكر القصص التي تحتوي على العبر في شرحه.

وفي نهاية شرحه للأبيات، أورد الشارح في آخر الكتاب جملة من المواعظ الموجهة إلى طالب العلم، وهي متنوعة بين آية وحديث وشعر وحكم، استكمل بها الشيخ الفوائد الجملة التي سبق وأن قدمها في شرحه، إذ أن هذه النصائح والفوائد لا يستغني عنها طالب العلم وغيره، ممن يسعون إلى تنوير عقولهم بالمعارف والحكم ووفاء بغرض الناظم والشارح رحمهما الله.

المطلب الثالث: وصف المخطوط

-المخطوطة (أ): محفوظة لدى المكتبة البارونية (ليبيا) برقم (٣٥).

- اسم الناسخ: يحيى بن أحمد الشماخي.

- تاريخ النسخ: ١٠ جمادى الثانية ١١٩٨ هـ.

-عدد الصفحات: ١٥٢ صفحة.

- عدد الأسطر في الصفحة: ٢٠، نوع الخط: مغربي مقروء.

-حققت هذه المخطوطة من نهاية صفحة ١٢٠ إلى نهاية المخطوطة صفحة ١٥٢.

كانت المخطوطة في حالة جيدة إلى حد ما، ليس هناك تداخل في الكلمات إلا نادرا، لم تكن كل الحروف واضحة بسبب التغير في كتابة بعض الحروف في الخط المغربي، بها علامات مائية، وفيها أثر دهن وتدفق حبر في صفحة ١٤٣ و صفحة ١٥٠، استخدم الناسخ المداد الأسود للنص والأحمر أو البني للعناوين وكتابة أبيات القصيدة المراد شرحها، وفي ضبط الشكل أحيانا.

إخترت هذه النسخة لتكون النسخة المعتمدة (أ) لأنها مكتملة بخلاف النسخة (ب) فهي

ليست مكتملة، إضافة إلى أنها تامة المعلومات من حيث معرفة الناسخ وتاريخ النسخ، بينما النسخة

(ب) ليست هناك معلومات بخصوص الناسخ أو تاريخ النسخ.

-المخطوطة (ب): محفوظة عند مكتبة خزانة آل الفضل، (الجزائر: غرداية)، برقم (٠٤٤).

- اسم الناسخ: لم يذكر اسم الناسخ.

-تاريخ النسخ: لم يذكر تاريخ النسخ.

-عدد الصفحات: ٨٠ صفحة.

- عدد الأسطر: ٢١، نوع الخط: مغربي رديء.

-حققت هذه المخطوطة من صفحة ٦٥ إلى نهاية المخطوطة صفحة ٨٠.

المخطوطة ليست مكتملة إلا أنها في حالة جيدة، ليس هناك تداخل في الكلمات إلا ما ندر، حروفها وكلماتها واضحة، وهناك خرم في آخر المخطوط، ويوجد في الهامش بعض التعليقات، استخدم الناسخ المداد الأسود لكتابة النص، والمداد البني المائل للبرتقالي لكتابة العناوين العريضة والأبيات المراد شرحها أو لوضع الخطوط والفواصل بين الأسطر في الأبيات الشعرية.

المطلب الرابع: عملي في المخطوط

قسمت هذا البحث إلى قسمين، القسم الأول: دراسة عن الناظم والمنظومة والشارح (مؤلف

الكتاب) وهو تابع لمقدمة التحقيق، والقسم الثاني: هو قسم النص المحقق، وكان عملي فيه:

✚✚✚ تفريغ المخطوط وطباعته من النسخة الأصل (أ).

✚✚✚ المقارنة بين النسخة الأصل (أ) والنسخة (ب)، وتبيين الاختلاف في الحاشية.

✚✚✚ ضبط النص لغويا ونحويا ووضع علامات الترقيم المناسبة.

✚✚✚ عزو الآيات الكريمة وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، ونسبة العبارات الواردة في

المخطوط.

✚✚✚ تراجم الرجال من أهل العلم.

✚✚✚ تراجم الأماكن والبلدان.

✚✚✚ تعليقات على بعض المعاني والكلمات الواردة في النص.

✚✚✚ الفهارس (الآيات - الأحاديث - الأعلام).

ووجب التنبيه إلى أنه قد تم ضبط النص ووضع الهمزات بما يوافق ما ترجح مؤخرا لدى أهل

اللغة، فنجد في المخطوطات كلمات مثل: "ذيب"، أو "ذياب"، فنضع لها الهمز بدل الياء فتصبح:

"ذئب" و "ذئاب"، وهكذا.

أول صفحتين من المخطوطة (أ)

كثيري هم ولا يرحم عندهم فليس هذا (له) اسماة من لحوق خزال
المرء فبقا اسمي (له) فيهم السلطان خاين غشيا غيالا وعالما غيا
في جمع المال فاجتري بينه وبين اخيه اخذاه وفسد اخذاه وشرب الخمر ايا
وامرأه فاقامته الحياه فقالا بين سمر الله هولاء يعلون ويصومون ويجنون
بيت الله الحما وعفاله نعم والذين صم وعفاله لهم حلال العسل
وان يحكم انت من الله ان لا تنفي فلو يدهم فارجع الله لهم فان اخذتهم شهري
وشو اعلى لها لطوبى يا الذي يعطي الفتي ينهيه فيهم الصم والفقير
السلطان يري ويوم الخراج والخراج انما للارباب والبرقيتي وجها فلان
من يري ذلك المرء لا يصفى وصفه والذين يراها تته وتجاهل في قريه
الاشيا وتبيع فيه الماشي او ترضع العالما وتبيع الدنا بلو يلجوز
حدا تهم اعلى لهم ويحوز الامين كمال السعد والبرقيتي والفاطمي في
يبدو انتاج في الغلب والموم في الماشي فيراها من شامه بين الاسعد
الفتي والكلب والذئب ويظهرهم وجوه الاذييين فلو يدهم فلو يدهم
المشيطين والناس دبابه في شيب في كراي غرايط الارض الغاريه وصفي
لم يلجوا الى الحانه الغريب في الموم ويصفي لكاتب الصفاق لولاء الموم
في فهم في السلطان ام عليه كافي يوزيه في عظم الله ارجع في ذلك
ينصع في ذلك المرء الا الذي لا الرعي فيه يبي الموم من يده موم دفع
الوصف في حتى ياتي الله اليك او امر من عطف لا ينقد المفقود منده
يتم في الله امه **اسموا عن شامه هذا الورد في كراي**
يسرع ارجع السباح لم تلوا الا ذنبا واسعدا ولا تعلموا ولا ينف

[illegible]

آخر صفحتين من المخطوطة (أ)

150

11

أول صفحتين من المخطوطة (ب)

فوق على
الزمن
نفسه
افوا
او
الحجر

65

آخر صفحة من المخطوطة (ب)

ومن اراد العلم بالحق فليعلم ويتوهم فقامت كلمة معلمه
عسى ان يستخرج طائفة من المعلوم والارزاق في نفسه
المعروفة ويعرف ويأخذ منه كلما سئله مما امانه وقل
واجب الصواب فان رزاقك ما يجوز ان اعلم عليه انك لا تعلم
يقول الزائر من المتعلم وربما يكون من العلم اذا تعلم
خبره ما يشغلهم لانهم كانوا شغرا وفات لا يسميهم فيهم
العلم ويستخف العلم ان يحرم عينه تعلم غده ويهيمه
اذا كان له انك انما وفذ فان وجهه انك لا ينبغي للعلم ان
يعتبر بقله فاعلمه الا ان يكونا متعجا وتكون على جسد
العلم ان ينجو اليه والعلم بعد علمه لم ينجو منه ساذقنا
ملا يطالع على خزان العلم وتكون لها اطلال العلم وفذ فان
ذا الشجرة اجبت لا تترك في الدنيا تكملة اشياء اخرى اعلم من
كذلك ينسب اليهم العلم عسى ان ينجو العلم والدين من سلف
منه ابايه ورجلا وعلم يدين الله ورجلا فاعلم جاكيتا وقال
ايضا للزائر ان احدث الطبع احدهم فوزنا والله انشعبه
من اظا لشوا حيثما اطلعته شيئا فان ما الرزاق لا يعلمه
من الفوق ما المتعلم بان رزاقه لا ينجو منه تعلم والدين
اربع ان اشبعه من رزاقه جاكيتا ما انه لا يقدح على فعل الدنيا
الا بالشيء واقا الدين لا يريد ان يلا طبعه يتسبب جدا لبطان
الدين لم يستغن بالدين والآخر وحكي تحت بن احد عهده بن
المعصين كذا في صحيح الله ابره على سنة بهارين ومبارك دينه ارجو

ب
يعني
المتوهم

اقول
ص ١٧
مكتوبة
١٢٤
٢٠٤
٢١٧
٢٢٧
٢٣٧
٢٤٧
٢٥٧
٢٦٧
٢٧٧
٢٨٧
٢٩٧
٣٠٧
٣١٧
٣٢٧
٣٣٧
٣٤٧
٣٥٧
٣٦٧
٣٧٧
٣٨٧
٣٩٧
٤٠٧
٤١٧
٤٢٧
٤٣٧
٤٤٧
٤٥٧
٤٦٧
٤٧٧
٤٨٧
٤٩٧
٥٠٧
٥١٧
٥٢٧
٥٣٧
٥٤٧
٥٥٧
٥٦٧
٥٧٧
٥٨٧
٥٩٧
٦٠٧
٦١٧
٦٢٧
٦٣٧
٦٤٧
٦٥٧
٦٦٧
٦٧٧
٦٨٧
٦٩٧
٧٠٧
٧١٧
٧٢٧
٧٣٧
٧٤٧
٧٥٧
٧٦٧
٧٧٧
٧٨٧
٧٩٧
٨٠٧
٨١٧
٨٢٧
٨٣٧
٨٤٧
٨٥٧
٨٦٧
٨٧٧
٨٨٧
٨٩٧
٩٠٧
٩١٧
٩٢٧
٩٣٧
٩٤٧
٩٥٧
٩٦٧
٩٧٧
٩٨٧
٩٩٧
١٠٠٧

النص المحقق

القسم الثاني: النص المحقق

لَا تَسْأَلُوا عَنْ شَأْنِ هَذَا الْوَرَى كُلُّ غَرِيقٍ لَيْسَ يَدْرِي السَّبَاحَ
لَمْ تَلَقْ إِلَّا ذِيبًا أَوْ أَسَدًا أَوْ ثَغْلَبًا أَوْ عَقْرَبًا أَوْ إِمَاحَ
حَذَارٍ مِنْ دِينِكَ أَنْ يُخْطَفَا خَطَفَ عِقَبَاتٍ حُومَ الْإِضَاحَ

أقول قوله: (لَا تَسْأَلُوا عَنْ شَأْنِ)، السؤال هنا المراد به البحث والتفتيش، والشأن الأحوال

التي هم عليها، والورى في الأصل الخلق والمراد هنا الآدميون، وقوله: (كُلُّ غَرِيقٍ)، أي كل واحد منهم غريق، والغريق في الأصل من غمره الماء وعلا عليه بحيث يعسر التخلص منه إلا بالموت أو المشاركة عليه في بحر أو غيره، والمراد هنا الآثام والجهل اللذان عما الأنام، ولا يتخلصون منهما إلا بالتوبة والعلم.

وقوله: (لَيْسَ يَدْرِي السَّبَاحَ) السباح بالكسر في الأصل العوم في الماء ^{٨١} كما في مختصر ^{٨٢}

الصحاح ^{٨٣}، والمراد هنا الجهل بكيفية التخلص من الآثام التي وقعوا فيها، حتى أوبقوا أنفسهم

^{٨١} انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م)، ص ١٤٠.

^{٨٢} (هذا تصحيف والصحيح: مختار الصحاح).

^{٨٣} . مختار الصحاح، هو معجم قد امتاز بإشارته في كثير من الأحيان في صدد الألفاظ الضعيفة والردية والمعربة وذكر الألفاظ النادرة والأضداد وعنايته بجوانب الصرف من اشتقاق وإبدال وإعلال، ألفه إمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، واقتصر فيه: على ما لا بد منه في الاستعمال، وضم إليه كثيرا من: (تهذيب الأزهري)، وغيره وصدر فوائده بقلت وكل ما أهمله الجوهري من الأوزان ذكره بالنص على حركاته، أو برده إلى واحد من الأوزان العشرين، التي ذكرها في أول كتابه وهو مشهور، متداول بين الناس. انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د. ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٤١ م)، ج ٢، ص ١٠٧٣.

وأهلكوها كما يهلكها من ألقى نفسه في البحر الذي كثر ماؤه وعظمت أمواجه من لا يحسن السباحة والعموم فيه، فيكون في كلامه استعارة تمثيلية، حيث شبه حال أهل زمانه في إهلاك أنفسهم بارتكاب المعاصي وجهلهم بكيفية التخلص منها، بحال الغريق الذي لا يعرف السباحة واستعار تلك الحالة لهذه.

وقوله: (لَمْ تَلَقْ إِلَّا ذَنْبًا أَوْ أَسَدًا) الذنب معروف قال في حياة الحيوان^{٨٤}: " بهمز ولا يهمز والأنثى ذيبة وجمعه القليل أذوب والكثير ذياب وذوبان ويسمى الخاطف والسيد وذؤالة والسرطان"^{٨٥}، وروي عن الأصمعي^{٨٦} أنه دخل البادية فإذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذيب، فنظرت

^{٨٤} كتاب حياة الحيوان الكبرى، للشيخ، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، الشافعي، وهو كتاب مشهور في هذا الفن، جامع بين الغث والسمين، لأن المصنف فقيه، فاضل، محقق في العلوم الدينية، لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ، وإنما مقصده تصحيح الألفاظ، وتفسير الأسماء المبهمة، وقد رتب المؤلف على حروف المعجم، وجعله نسختين كبيرى وصغرى، وفي كبراه زيادة التاريخ، وتعبير الرؤيا. انظر: حلجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٩٦.

^{٨٥} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ/ ١٩٠٣ م)، ج ١، ص ٤٩٨.

^{٨٦} عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي البصري، أبو سعيد، (و: ١٢٣ هـ / ٧٤١ م - ت: ٢١٥ هـ أو ٢١٦ - ٨٣٠ م أو ٨٣١ م)، له مؤلفات عديدة وقد فقد أكثرها، منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب الأجناس، كتاب الهمز، كتاب المقصور والممدود، كتاب الفرق، كتاب الصفات، كتاب الأثواب، كتاب الميسر والقдах، كتاب خلق الفرس وغيرها الكثير. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ م)، ج ١٠، ص ١٧٥-١٨١؛ وابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق. إبراهيم رمضان، ط ٣. (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ص ٧٨-٧٩.

إليها فقالت: أتدري ما هذا؟ فقلت: لا، فقالت: جرو ذيب، أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل

شأتنا وقلت في ذلك شعرا، قلت: وما هو؟ فأنشدت:

بَقَّرْتُ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتُ قَلْبِي وَأَنْتَ لِشَاتِنَا وَلَدٌ رَيْبُ
عُذِيتْ بِدُرِّهَا وَرُبِيتْ فِينَا فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَنْبُ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سَوْءٍ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ أَذْبُ الْأَدِيبِ^{٨٧}

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما ذئبان جائعان أرسلتا في زريبة غنم بأفسد

لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه»^{٨٨} ثم قال: وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: «كانت امرأتان معهما إبناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت

هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك أنت فتحاكما إلى داوود عليه

السلام فقضى به للكبرى فخرجتا^{٨٩} على سليمان فأخبرته بذلك فقال: إيتوني بالسكين أشقه

بينكما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها فقضى للصغرى^{٩٠} قال أبو هريرة: "والله ما سمعت

^{٨٧} الأبيات لإمرأة أعرابية من البادية، بحثت عن اسمها ولكن لم أجده، انظر: الديميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٥٠٠.

^{٨٨} الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، رقم الحديث: ٢٣٧٦، ط ٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، ج ٤، ص ٥٨٨.

^{٨٩} في هذا الموضع ذكرت (إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك أنت) هذه الجملة موجودة في المخطوطة (ب) وليست موجودة في المخطوطة (أ).

^{٩٠} البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم الحديث: ٦٣٨٧، ط ٥، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج ٦، ص ٢٤٨٥.

بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية"^{٩١} وذكر أنه بينما امرأة في بني إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وهي تقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني، فبعث الله ملكا انتزع الطفل من فم الذئب ورمى به إليها وقال: لقمة بلقمة، وذكر أيضا عن مالك بن دينار^{٩٢} أنه قال: "لما استخلف عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاة من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس قيل لهم وما أعلمكم بذلك قالوا: أنه إذا ولي على الناس خليفة عدل كفة الذئب والأسد عن شياها"^{٩٣}، ثم قال ووصفت العرب الذئب بأوصاف مختلفة وقالوا: أغدر من ذئب، وأختل وأخبث وأخوان، أقول: فلذلك شبه الناظم رحمه الله أهل عصره بالذئب، أي في الغدر والخيانة والخبث، وهو تشبيه بليغ بحذف أدواته مع المشبه وكذلك فيما بعده، أي لم تلق إلا من كان كالذئب في الأوصاف المذكورة له ويصح فيه الإستعارة أيضا بأن شبههم بالذئب فيما

^{٩١} النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، رقم الحديث: ٥٤٠٢، ط ١، تصحيح. صححها جماعة، وقرئت على الشيخ: حسن محمد المسعودي، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م)، ج ٨، ص ٢٣٤.

^{٩٢} مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، البصري، مولى بني ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب، القرشي، (ت: ١٢٣هـ وقيل ٢٧هـ)، علم من الأعلام الأبرار، عنه الكثير من المقولات، منها قوله: "لو استطعت لم أتم مخافة أن ينزل العذاب، يا أيها الناس، النار النار"، وغيرها الكثير. انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة. محمد عبد المعيد، (د.ط)، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، ج ٧، ص ٣٠٩. والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٦٢ - ٣٦٤.

^{٩٣} النووي، محي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه. شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ)، ج ٢، ص ١٨.

ذكر واستعار لهم اسمها استعارة تصريحية حقيقية^{٩٤} أصلية، والقريظة حالية وكذلك فيما بعده، والأسد معروف وجمعه أسود وأسود وأسود، وله أسماء كثيرة ومن أشهرها: أسامة، والبهس، والحارث، وحيدرة والسبع، والصعب، والضرغام، والضيغم، والعنيس، والغضنفر، والفراصفه، والقسورة، والليث، قال في حياة الحيوانات: "قال ابن خالويه^{٩٥}: للأسد خمسمائة اسم وصفة وزاد عليه علي بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثون اسماً، وذكر البعض منها ثم قال: ومن كناه: أبو الأبطال، وأبو حفص، وأبو الأخياس، وأبو الزعفران، وأبو المتبل، وأبو العباس، قال: وهو أشرف الحيوان المتوحش، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته، وشجاعته، وقساوته، وجهامته، وشراسة أخلاقه، ولذلك يضرب به المثل في النجدة^{٩٦} والبسالة، وفي شدة الإقدام والصولة^{٩٧} وروى حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الأسد يقول في أزيه اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف»^{٩٨} ثم قال عن علي

^{٩٤} في المخطوطة (ب) حقيقة.

^{٩٥} الحسين بن أحمد بن بن خالويه، أبو عبدالله، (ت: ٣٧٠هـ - ٩٨٠م)، لغوي من كبار النحاة، أصله من همدان، زار اليمن وأقام بدمار مدة، وانتقل إلى الشام فاستطن حلب وعظمت بها شهرته، له كتاب: شرح مقصورة ابن دريد، مختصر في شواذ القرآن، إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز، ليس في كلام العرب، وغيرها. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس، الأعلام، ط ١٥. (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٢م)، ج ٢، ص ٢٣١.

^{٩٦} في المخطوط (ب) النجات.

^{٩٧} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ١٠.

^{٩٨} المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال، رقم الحديث: ١٦٠١٢، ط ٥، (د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ج ٦، ص ٣٥١.

بن أبي طالب: أنه قال: "ذا كنت بواد تخاف فيه من السبع فقل أعوذ^{٩٩} بدينال^{١٠٠}، وبالجب من الأسد^{١٠١}" والسبب في ذلك؛ أن يختصر^{١٠٢} رأى في منامه أن هلاكه يكون على يد مولود، فأمر بقتل الأطفال، فخافت أم دينال عليه، فجاءت إلى بئر فألقته فيه، فأرسل الله له الأسد يحرسه، وقيل: ألقى في جب وألقي عليه السباع، فجعلت السباع تلحسه، وتبصبص إليه فأتاه رسول فقال:

^{٩٩} ورد في العبارة لفظ استعادة بمخلوق؛ وهذا الأمر فيه تفصيل وجب التنبيه له. أولاً: ورد في الأحاديث النبوية مثل هذا وهو الاستعادة بغير الله جل وعلى، فإن ثبتت تلك الأحاديث فوجهه أنه جاء في الحديث: "أعوذ أو عائد بالبيت"، وجاء أيضاً في حديث آخر: "أعوذ برسول الله" في صحيح مسلم، وشرح الحديث ذكر المكنة والمكانة وحرمة ذلكم النبي وليس المخلوق. ثانياً: ذكروا جواز الاستعادة بالمخلوق بنية الاستعانة أي يجوز فيما يجوز له الاستعادة به، ومن أوائل من ذكر ذلك الوهابية، وهو جواز الاستعادة بالمخلوق فيما كان قادراً فيه. انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، رقم الحديث: ١٦٥٩، (د.ط)، تحقيق: أحمد رفعت وآخرون، (ركيا: دار الطباعة العامة، ١٣٣٤هـ)، ج ٥، ص ٩٢. وابن عثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط ٢، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ)، ج ١، ص ٢٥٦.

^{١٠٠} دينال أو دانيال وجدته مذكوراً بكلاً اللفظين في بعض الكتب، ودينال (دانيال) كلمة عبرية معناها (الإله قضي). ودانيال أحد الأنبياء الأربعة الكبار. كان دانيال من عائلة شريفة، ويظن أنه ولد في القدس. والسفر المسمى باسمه ينقسم إلى قسمين، يضم القسم الأول والمعروف باسم دانيال (الإصحاحات من ١ إلى ٦)، وتضم ست قصص عن محن دانيال وانتصاراته هو ورفاقه الثلاثة. أما القسم الثاني فيضم (الإصحاحات من ٧ إلى ١٢)، وهنا تغيرت شخصية دانيال، من حكيم يفسر الأحلام والإشارات للملوك، إلى صاحب رؤى. فدانيال هو نفسه الذي يرى الرؤى المفزعة هذه المرة، ويقوم ملاك بتفسيرها له. انظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط ١، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م)، مج ٥، ج ٢، ص ١٢١.

^{١٠١} انظر: الخرائطي، محمد بن جعفر، مكارم الأخلاق، رقم ١٠٤٣، ط ١، تحقيق: أيمن عبد الجبار البحيري، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٣٨.

^{١٠٢} يختصر أو يختصر، هو نبوخذ نصر بن نبولا نصر الكلداني ملك بابل، (ما بين سنتي ٦٠٥ و ٥٦٣ قبل ميلاد المسيح)، ويعرف في اللغات الأوروبية بـ Nebuchadnezzar. اشتهر بإنجازاته العمرانية في مدينة بابل بصورة خاصة وباقي مدن العراق بصورة عامة، وإن ما يشاهده الزائر في مدينة بابل هو بالأساس من نشاطاته العمرانية. وقد بنى الجنائن المعلقة في مدينة بابل لزوجته التي كانت تحن إلى موطنها الجبلي، وقد عُذ ذلك من عجائب الدنيا السبعة. انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، جبهة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور. جمعها وقرأها ووثقها. محمد الطاهر الميساوي، ط ١. (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ج ١، ص ٤٣٩.

يا دينال ، فقال : من أنت؟ فقال: أنا رسول ربك اليك ارسلني بطعام ، فقال: الحمدالله الذي لا ينسى من ذكره، والحمدالله الذي لا يخيب من رجاء، والحمدالله الذي من وثق به لا^{١٠٣} يكله إلى غيره، والحمدالله الذي يجزي بالإحسان إحسانا، والحمدالله الذي يجزي بالصبر نجاة وغفرانا، والحمدالله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا، والحمدالله الذي هو ثقتنا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمدالله الذي هو رجأؤنا حين تنقطع الحيل عنا، والرسول الذي أرسله الله إلى دينال اسمه ارميا^{١٠٤}، وكان بالشام ودينال بأرض العراق، وذكر عن بعضهم أنه كان مع إبراهيم بن أدهم^{١٠٥} في سفر فعرض لنا أسد فقال إبراهيم: "قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يضام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا تهلك وانت رجأؤنا يا الله! يا الله!"^{١٠٦}، فقال: "فولى الأسد عنا، وأنا دعوا به في

^{١٠٣} في المخطوط (ب) لم يكله.

^{١٠٤} إرميا: هو أحد أنبياء بني إسرائيل الأربعة الكبار، ينتسب إلى قبيلة بنيامين (٦٥٠-٥٨٠ ق.م). قام بتنبؤاته في أيام حكم الملم يوشيا، وشهد ظهور سفر تثنية الإشتراع، وعایش السيطرة المصرية أيام الملك يواكيم، والسيطرة البابلية لاحقا. كان مناهضا لمبدأ التحالف مع مصر. ولم ينفك عن نصيح مواطنيه بالخضوع لملوك بابل. وتسبب ذلك في اضطهاده، وأثبتت الأحداث = = = اللاحقة صحة رؤياه، فإن معاداة البابليين تسببت بسقوط أورشليم بأيديهم مرتين وسي الشعب اليهودي الذي اقتيد إلى الأسر في بلاد بابل. دعا إرميا إلى التقرب إلى الله عن طريق الصميمية في الدين. إلا إن تأثير هذا النبي لم يتبلور إلا بعد وفاته. تروي الأعراف المسيحية أن إرميا مات شهيدا في مصر على أيدي جماعة من اليهود ساءهم لومه لهم. انظر: عبودي، هنري س، **معجم الحضارات السامية**، ط ٢. (طرابلس: جروس برس، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ص ٦٩-٧٠.

^{١٠٥} إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، أبو إسحاق، ولد في حدود سنة مائة للهجرة، وتوفي: سنة اثنتين وستين ومائة، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، مرجه سابق، ج ٧، ص ٣٨٧-٣٩٦.

^{١٠٦} في المخطوطة (ب) ذكرت يا الله مرة واحدة بخلاف المخطوطة (أ).

كل مخوف، فما رأيت إلا خيرا"^{١٠٧}، انتهى من حياة الحيوان باختصار، وتقديم، وتأخير، وأطلت في ذلك لما فيه من الفوائد

وقوله: (أَوْ تَغْلَبْ)، هو حيوان معروف أصغر من الذئب ذو مكر وخديعة، وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك: أنه يتماوت وينفخ بطنه، ويرفع قوائمه حتى يظن أنه قد مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده، وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد، ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكة، فيسلح عليه فيلم شوكة فيقبض على مرق بطنه فيأكله، وسلحه أنتن من سلح الخنازير، وقال في حياة الحيوان: سلاحه أنتن من سلاح الحبارى^{١٠٨}، فإذا تعرض للقنفذ لقيه كالكورة، وتحصن بشوكه سلح عليه فينبسط فيقبض (على مرق بطنه^{١٠٩})، ومن لطيف أمره؛ أنه إذا تسلط عليه البراغيث جاء إلى البحر وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه، ونزل في الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة، فيلقوها في البحر، ثم يخرج.

^{١٠٧} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥.

^{١٠٨} انظر: المرجع نفسه، ج ١، ص ١٥٣-١٥٤.

^{١٠٩} هذه العبارة غير موجودة في المخطوط ولكنني أضفتها لأنني وجدتُها في نسخ أخرى وأيضاً ليكتمل المعنى ولعلها سقطت من الكاتب.

وذكر ابن الجوزي^{١١٠} في آخر كتاب الأذكياء، والحافظ أبو نعيم^{١١١} في حلية الأولياء^{١١٢}؛

أنه قال: مرض الأسد ذات يوم فعاده السباع والوحوش ما عدى الثعلب، فتم عليه الذئب عند

الأسد فقال له: إذا حضر فأعلمني، فلما حضر علمه بذلك فقال له الأسد: أين كنت يا أبا

الفوارس؟ قال: كنت اطلب لك الدواء، فقال: في أي شيء أصبته؟ قال: قليل^{١١٣} في خرزة بعرقوب

أبي جعدة، قال: فضرب الأسد بيده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئاً، فخرج دمه يسيل على

^{١١٠} عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري البغدادي، أبو الفرج المعروف بابن الجوزي نسبة إلى مشرعة الجوز (من محلات بغداد)، أو نسبة إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة، (و: ٨٠٥هـ أو ٥١٠هـ - ت: ٥٩٧هـ)، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين، برع ابن الجوزي في العلوم الشرعية المختلفة وكان له مؤلفات عديدة في كل علم، من مؤلفاته: كتاب المنتظم، كتاب الأذكياء، كتاب أخبار الحمقى والمغفلين، كتاب ذم الهوى، كتاب تلبيس إبليس. انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، تحقيق: الدكتور عبد السلام محمد، ط ١. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص ٧. والقاضي التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، د. ط (د.م، د.ن، ١٣٩١هـ)، ج ١، ص ٨.

^{١١١} أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، أبو نعيم، المعروف بالحافظ أبو نعيم، (و: ٣٣٦هـ- ت: ١٨ محرم ٤٣٠هـ)، عن أربع وتسعين سنة. له كتاب حلية الأولياء، معجم الصحابة، صفة الجنة، دلائل النبوة. انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١. (د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج ١٥، ص ٦٧٤-٦٧٥.

^{١١٢} كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، المعروف بالحافظ أبي نعيم، وهو كتاب في الحديث، يتضمن أسامي جماعة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة العظام المحققين، والمتصوفة، والنسك، وبعض أحاديثهم وكلامهم، وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق،

ج ١، ص ٦٨٩.

^{١١٣} في (ب) قيل.

رجله، وانسل الثعلب فمر به الذئب فقال له: يا صاحب الحف الأحمر، إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك؛ فإن المجالس بالأمانات^{١١٤}.

وقيل: خرج الأسد والذئب والثعلب يصطادون، فصادوا حمار وحشي، وضبا، وغزالا، ثم جلسوا يقسمون فقال للذئب: اقسم علينا، فقال: حمار الوحش لي، والغزال لأبي الحارث، والضب للثعلب، فضربه الأسد في رأسه فرضحه، فقال الثعلب: أنا أقسم، حمار الوحش لأبي الحارث يتغذى به، والغزال لأبي الحارث يتعشى به، والضب لأبي الحارث يتنفل به فيما بين ذلك، فقال له الأسد: لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض، من علمك هذا؟ فقال: علمني هذا رأس الذئب.

وحكي أنه أي الثعلب مر بالسَّحَر بديك فوق شجرة، فقال له: انزل نصلي الصبح أنا وأنت جميعا، فقال له الديك: إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه، فرأى الكلب فطرط وولى هاربا فناده الديك، أما تأتي فنصلي فإن الإمام استيقظ، فقال له: قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد الوضوء وأرجع.

ومن العجيب في قسمة الأرزاق؛ أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله، والعصفور يصيد الجرادة ويأكلها، والجراد تصيد الزنابير، والزنابير تصيد النحلة، والنحلة تصيد الذبابة، والذبابة تصيد

^{١١٤} انظر: أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د.ط، (د.م، مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م)، ج ٤، ص ٣١٧.

البعوضة، والبعوضة تصيد النملة، والنملة تأكل ما تيسر لها من كبير وصغير، فسبحان الله الذي أتقن ما صنع^{١١٥}، انتهى من كتاب المستطرف^{١١٦} للسيوطي^{١١٧}.

وقال في كتاب حياة الحيوان بعد نقل ما تقدم: عن الشعبي^{١١٨}، قال الحافظ أبو نعيم: "لم يقصد الشعبي من هذا سوى المثل وتعليم العقلاء، وتنبية الناس، وتأكيد الوصية في حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق، والتأديب بكل طريق"^{١١٩}، وفي ذلك قيل:

إِحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فَتَبْتَلِي إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ^{١٢٠}

^{١١٥} انظر: الأبيهي، محمد بن أحمد بن منصور، المستطرف في كل فن مستظرف، ط ١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ)، ص ٣٥٤.

^{١١٦} كتاب المستظرف في كل فن مستظرف، للشيخ، محمد بن أحمد بن منصور الأبيهي، أبو الفتح، وهو كتاب اشتمل على كل فن طريف، وفيه استدلال بآيات من القرآن الكريم، وأحاديث صحيحة، وحكايات حسنة عن الخيار، وأودع فيه لطائف عديدة، من منتخبات الكتب المفيدة، وأودعه من الأمثال، وال نوادر الهزلية، والغرائب، والدقائق، والأشعار، والرقائق، وجعله مشتملا على أبواب عدتها: أربعة وثمانون بابا. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٦٧٤.

^{١١٧} تصحيح، والصحيح أن الكتاب للشيخ؛ محمد بن أحمد بن منصور الأبيهي المحلي، بهاء الدين، أبو الفتح، (و: ٧٩٠هـ/١٣٨٨م - ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، نسبته إلى أبشويه من قرى الغربية بمصر، ولد بها. وكانت إقامته في المحلة الكبرى ورحل إلى القاهرة مرارا. صاحب كتاب المستظرف في كل فن مستظرف في الأدب والأخبار، الذي سبق التعريف به، وكتاب ناعة الترسل، (لم يتمه)، وأطواق الأزهار في الوعظ. انظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٣٢.

^{١١٨} عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي، وذو كبار قيل من أقبال اليمن. ويقال: هو عامر بن عبد الله. ولد الشعبي (و: ٢١هـ - ت: سنة ١٠٣، وقيل ١٠٤، وقيل ١٠٥هـ)، وكانت وفاته فجأة. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٤ - ٢٩٦. وابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء الزمان. تحقيق. إحسان عباس. د. ط (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج ٣، ص ١٥.

^{١١٩} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥٧.

^{١٢٠} لم أجد قائل هذه الأبيات، وأقدم المصادر التي رجعت إليها نسبتهما للكسائي (القارئ) والله أعلم. انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، المحاسن والأضداد، (د. ط)، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ص ٤٢.

وقوله: (أَوْ عَقْرَبًا) وهي: حيوان معروف، قال في حياة الحيوانات: "هي من الهوام يكون بلفظ واحد للذكر والأنثى وقد يقال: للأنثى عقربة وعقرباء ممدودا غير مصروف، وكنيتها أم عريط"^{١٢١}، ومن عجيب أمرها؛ أنها لا تضرب الميت ولا النائم؛ إلا إن تحرك، إلى أن قال: وربما لسعت الأفعى فتموت، وما أحسن قول بعضهم:

وَإِذَا لَمْ يُسَالِمَكَ الزَّمَانُ فَحَارِبْ	وَإِذَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِالْأَقَارِبِ
وَلَا تَحْقِرَنَّ كَيْدَ الضَّعِيفِ قَرِيبًا	تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ
فَقَدْ هَدَّ قَدَمَا عَرْشِ بَلْقِسَ هُدًى	وَأَحْرَبَ فَأُرَّ قَبْلَ ذَا سَدِّ مَأْرِبِ
إِذَا كَانَ رَأْسَ الْمَالِ عُمْرُكَ فَاحْتَرِزْ	عَلَيْهِ مِنَ التَّضْيِيعِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ
فَبَيْنَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ مَعْرَكَةٌ	يَكُرُّ عَلَيْنَا جَيْشُهُ بِالْعَجَائِبِ ^{١٢٢}

وذكر أن بعض الملوك أخبره منجموه أنه يموت في الساعة الفلانية من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني بلدغة عقرب، فلما كان قبل الساعة المذكورة تجرد من جميع لباسه سوى ما يستر عورته، وركب فرسا بعد أن غسله وسرح شعره ودخل به البحر حذرا مما ذكره، فبينما هو كذلك فغطست فرسه فخرج من انفها عقرب فلدغته فمات، فما أغناه الحذر عن القدر.

^{١٢١} انظر: الديميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٥.

^{١٢٢} أبيات عمارة اليميني في العصر الأندلسي. انظر: نجم الدين، عمارة بن علي، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى بتصحيحه. هرتويغ در نيرغ، (د.ط)، (باريس: مطبعة مرسو بمدينة شالون، ١٨٩٧م)، ص ١٣٠.

وعن ذي النون المصري^{١٢٣}: "أنه خرج ذات يوم يغسل ثيابه على شط النيل، فإذا عقرب كأعظم ما يكون من الأشياء، ففزع منها فرعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفى شرها، فأقبلت حتى وفّت النيل، فإذا هي بضفدع خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها على الجانب الآخر، قال ذو النون: فتأزرت بمززر فتبعتهما، فلم تزل إلى أن أتت الجانب الآخر فنزلت ثم سعت وأنا أتبعها إلى أن أتت إلى شجرة كبيرة الظل، وإذا غلام أمرد^{١٢٤} نائم تحتها وهو مخمور، فقلت: لا قوة إلا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب لتلدغ هذا الفتى، وإذا^{١٢٥} أنا بتنين قد أقبل يريد قتل الفتى فقفزت العقرب ولزمت دماغ التنين حتى قتلتها ورجعت إلى البحر، فعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر، قال: فعجبت من ذلك وأنشدت أقول:

يا رَاقِداً وَالْجَلِيلُ يَحْفَظُهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَدُبُّ فِي الظُّلَمِ
كَيْفَ تَنَامُ الْعُيُونُ عَنْ مَلِكٍ يَأْتِيكَ مِنْهُ فَوَائِدُ النِّعَمِ^{١٢٦}

^{١٢٣} ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد. وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي، الإخميمي. يكنى: أبا الفيض. ويقال: أبا الفيض، وذو النون لقب، (ت: في ذي القعدة ٢٤٥هـ)، انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. ط ٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ج ١١، ص ٥٣٢-٥٣٥.

^{١٢٤} أمرد: الغلام الذي لا يزال أمرد (لا لحية له)، أي في سنوات مراهقته المبكرة، والمزْدُ: ثمر الأراك الغضُّ منه. ورملة مَزْداءٌ لا نبت فيها. وعُصْنُ أَمْرَدٍ: لا ورق عليه. وفرسٌ أَمْرَدٌ: لا شعر على ثَنَّتَيْهِ. وغلامٌ أَمْرَدٌ بَيْنُ المَزْدِ بالتحريك، ولا يقال جارية مَزْداء. انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق. أحمد عبد الغفور عفار، ط ٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ج ٢، ص ٥٣٨، المادة "مرد".

^{١٢٥} في (ب) إذا أنا.

^{١٢٦} أبيات ذو النون المصري. انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٨ - ١٨٩.

قال: فانتبه الغلام على كلامه فأخبره الخبر فتاب ونزع أثواب اللهو، ولبس أثواب السياحة ومات على تلك الحالة^{١٢٧} والله أعلم.

ثم قال: فمن الرقى للعرب المجربة النافعة؛ أن يسأل الراقي الملدوغ إلى أين انتهى^{١٢٨} الوجع من العضو، فيضع على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يُجْرُ موضع الألم بالحديدة حتى ينتهي^{١٢٩} في جر السم إلى أسفل الوجع، فإذا اجتمع في أسفله جعل يمس ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك، والعزيمة هي هذه: سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين من حاملات السم أجمعين، ما من دابة في السماء والأرض إلا ربي آخذ بناصيتها أجمعين، كذلك يجزي عباده المحسنين، إن ربي على صراط مستقيم، نوح نوح^{١٣٠} من ذكرني لا تأكلوه إن ربي بكل شيء عليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقوله: (أَوْ إِمَّاخ)، أراد به الحياة وجميع الهوام المؤذية، وقوله: (حَذَارٍ مِنْ دِينِكَ أَنْ يُخْطَفَا)

هو اسم فعل أمر بمعنى إحذر، والخطف أخذ الشيء بسرعة.

وقوله: (خَطَفَ عِقَبَاتٍ) إلخ أي كخطف وهو جمع عقاب، قال في كتاب حياة الحيوانات:

هو طائر معروف وهو سيد الطير، ومما يستغرب أن بعضهم نقل أنه يصير جدأة عاما وعقابا عاما،

^{١٢٧} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨٨ - ١٨٩.

^{١٢٨} في (ب) ينتهي.

^{١٢٩} في (ب) ينتهي.

^{١٣٠} في (ب) نوح قال لكم نوح.

وروي أن سليمان بن داوود عليه السلام فقد الهدهد فدعى بالعقاب فقال له: علي بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في السماء حتي رأى الدنيا كالقصعة^{١٣١}، فرأى الهدهد مقبلا من جهة اليمن فانقض عليه، فقال له الهدهد: أسألك بحق الذي أقدرك علي وقواك، ألا رحمتني؟ فقال له: الويل لك إن نبي الله سليمان، حلف ليعذبنك أو ليدبحنك، ثم أتى به فلقيه النسور وعساكر الطير فخوفوه وأخبروه بتوعد سليمان، فقال: وما قدرني وما أنا هل استثنى؟ فقالوا له: بلى، إنه قال: أو يأتيني بسلطان مبین، فقال: لا أبالي، فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان، فقال له سليمان: أين كنت عن خدمتك ومكانك؟ لأعذبنك عذابا شديدا أو لأذبحنك، فقال الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي^{١٣٢} الله تعالى بمنزلة وقوفي بين يديك، فاقشعر جلد سليمان عليه السلام وارتعد وعفى عنه^{١٣٣}، انتهى بالمعنى والإختصار.

وقوله: (لَحُومَ الْإِضَاخِ) أصله الأضاحي^{١٣٤} بياء، وحذفها للضرورة، أي: اللحوم المنشور في الأعياد، وحاصل معنى هذه الأبيات الثلاثة أنه يقول رحمه الله: لا تسئلوا عن هذا^{١٣٥} الخلق لأنهم

^{١٣١} الْقَصْعَةُ: الضَّخْمَةُ تشبع العَشْرَةُ، وَالْجَمْعُ قِصَاعٌ وَقِصْعٌ. وَالْقَصْعُ: ابْتِلَاحٌ جُرْعُ الْمَاءِ وَالْحِزَّةِ. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، الحواشي. لليازجي وجماعة من اللغويين، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج٨، ص٢٧٤، كتاب العين المهمة "فصل القاف".

^{١٣٢} سقطت في (ب) يدي.

^{١٣٣} انظر: الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، ج٢، ص١٧٨.

^{١٣٤} في (ب) الإيضاح.

^{١٣٥} في (ب) هذه.

قد هلكوا بالعصيان والآثام التي يتعسر خروجهم منها؛ بسبب جهلهم بكيفية التخلص منها وعدم
فرعهم إلى التوبة، فصار حالهم في تورطهم فيها كحال الغريق الذي لا يعرف السباحة والعموم في الماء،
فهم هالكون لا محالة، وأن أهل زمانه لا يوجد فيهم إلا من يشبه الذئب في الدهاء والتختل، والأسد
في سوء الأخلاق، والجهامة على ظلم العباد في أبدانهم وأموالهم، ومثل الثعلب في التحيل، فاحذر
على دينك أن يخطفوه بسرعة كخطف العقبنات لحوم الأضاحي، وهذا^{١٣٦} إشارة منه رحمه الله إلى
ما ورد في الحديث المروي عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليأتين
على الناس زمان يكونون فيه على شبه أسد وذئب وكلب وثعلب وخنزير وشاة، فأما الأسد فملوك
الدنيا يغيرون سننها ويدعون حدودها ويحرمون حلالها ويحللون حرامها ولا يطمع أحد في فريسته،
وأما الذئب فالتاجر الفاجر يذم إذا اشترى ويمدح إذا باع، وأما الكلب فالرجل الظالم، وأما الثعلب
فالرجل القارئ الذي يأكل بدينه، وأما الخنزير فالرجل المتشبه بالنساء لا يكف نفسه عن شيء،
وأما الشاة فالرجل المؤمن، يجز صوفها، ويحلب لبنها، ويؤكل لحمها، فكيف بشات بين أسد وذئب
وكلب وثعلب وخنزير»^{١٣٧}

وفي حديث عن عمار بن ياسر قال: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:
يا رسول الله كيف تكون أمتك بعدك في آخر الزمان؟ قال: «يا عمار إذا فعلت أمتي ثمان خصال

^{١٣٦} في (ب) هذه.

^{١٣٧} لم أجد تخريجا لهذا الحديث.

ابتلاهم الله بثمان أخرى: إذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتلاهم الله بقحط السنين وجور السلاطين، وإذا منعوا الزكاة منع الله عنهم قطر السماء وسلط الله عليهم أشرارهم، وإذا تركوا الدعاء نزل عليهم البلاء، وإذا طففوا المكيال ارتفعت عنهم البركات، وإذا فشا فيهم الزنا ظهر فيهم الطاعون، وإذا جارت السلاطين هلكت الحيوانات، وإذا سمعوا الغنا وأصغوا إليه ماتت قلوبهم عن الإسلام، فنهض إليه أسامة بن زيد فقال: يا رسول الله متى يكون ذلك الزمان؟ قال: حين نفدت علمائهم وكثرت سفهاؤهم، ويجعلون الحرام مغنمهم والكذب محادثتهم، والنميمة نصيحتهم والغيبة فاكهتهم، ولا يوقر صغيرهم كبيرهم ولا يرحم غنيهم فقيرهم، فقال أسامة بن زيد متى يكون ذلك الزمان؟ فقال: حين لا ترى فيهم إلا سلطانا جائرا، وغنيا بخيلا، وعالما راغبا في جمع المال، وتاجرا يريب^{١٣٨}، وفقيرا محتالا، وصيبا وقاحا، وشيخا كذابا، وامرأة قليلة الحياء، فقال: يا رسول الله هؤلاء يصلون ويصومون ويقرؤون القرآن ويحجون بيت الله الحرام؟ فقال: نعم، ولكن يتمردون على أكل الحرام، كلامهم أحلى من العسل، ويرجحهم أنتن من البصل، لا تنكر قلوبهم قبح أفعالهم، وإذا لاحت لهم شهوة وثبوا عليها كوثوب الذئب على الغنم، يظهر فيهم الفساد، ويقل فيهم الرشاد، ويحارب فيه الجار جاره، والأخ أخاه، والإبن أباه^{١٣٩}، والزوجة زوجها، فلا أمن في ذلك الزمان، يخون الرفيق رفيقه، والأمين في أمانته، والتاجر في تجارته، توضع فيه الأخيار وترتفع فيه الأشرار، توضع المنابر^{١٤٠} وترفع المزابل،

^{١٣٨} في (ب) يرابي.

^{١٣٩} سقطت في (ب).

^{١٤٠} جاء في (ب) توضع فيه المنابر.

ويكون سادتهم أشرارهم، ويكون الأمير كالأسد، والوزير كالكلب، والقاضي كالذئب، والتاجر كالثعلب، والمؤمن كالشاة، فيألفها من شاة بين أسد وذئب وكلب وثعلب، وجوهم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين، والناس ذئاب (في ثياب فمن كان ذئبا أكل مع الذئاب ومن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب)^{١٤١}، يذل المؤمن ويعز المنافق، لو كان المؤمن في قرن جبل لسلط الله عليه^{١٤٢} كافرا يؤذيه ليعظم الله أجره بذلك، ولا ينفع في ذلك الزمان إلا العزلة والعزبة، يفر المؤمن بدينه من موقع إلى موقع حتى يأتي الله بالفتح أو امر من عنده "، انتهى وإنما نقلناه بطوله لما فيه من المواعظ والفوائد والله اعلم.

ثم قال رحمه الله:

فَالدِّينُ فَلْ بَلْ طَرِيدٌ غَرِيبٌ	مُقَلَّصُ الْأَفْيَاءِ وَاهٍ قَرَّاحٌ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ وَاسْمُهُ	وَحُرُمَاتِ اللَّهِ قَدْ تُسْتَبَاحٌ
فَلَيْبِكَ بَاكِ أَوْ يَنْحُ نَائِحٌ	فَمَا عَسَى يُجْدِيهِ صَاحٍ وَنَاحٌ

أقول قوله: (الدِّينُ فَلْ)، الدين يطلق لغة على معانٍ منها: الجزاء، وشرعا: ما شرعه الله لعباده من الأحكام، وهو مرادف عندنا للإسلام، ومركب من القول، والعمل، والإعتقاد، والمراد به فعل جميع الواجبات والمأمورات وترك جميع المنهيات، والفد المنهزم، وقوم فد منهزمون، فيكون في كلامه

^{١٤١} هذه الجملة سقطت في (ب).

^{١٤٢} سقطت في (ب).

رحمه الله تشبيهه بليغ بحذف أدواته، أي: فالدين في ذهابه ورجوعه وانعكاسه كالجيش المهزوم من عدوه في سرعة توليته وذهابه واضمحلاله.

وقوله: (بَلْ طَرِئْتُ)، أي مطرود، وهو أبلغ من الإخزام في سرعة الذهاب، فإن المهزوم إذا لم يطرده أحد ولم يتبعه لم يسرع في مشيه وهروبه بخلاف المطرود المتبوع، فتكون بالإضراب الإنتقالي وقوله: (غَرِيبٌ)، من الغربة قال في القاموس^{١٤٣}: "وبالضم النزوح عن الوطن كالغربة والإغتراب"^{١٤٤}، ووصف الدين بالغربة لما يحصل له من الذل لعدم من ينصره ويقوم شرائعه، وينصر من يتصف به؛ فلذلك قال حذيفة رضي الله عنه في عمر لما أسلم: "كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة؛ فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا ضعفا"^{١٤٥}، وقالوا أيضا: إن الغريب لا ينسى نصيبه من الذل، وقالوا أيضا: الغريب كالوحشي النافي عن وطنه، فهو لكل سبع فريسة ولكل رام رمية.

^{١٤٣} هو كتاب القاموس المحيط، لمؤلفه، مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، المتوفى، في شوال، سنة ٨١٧. وهو عبارة عن معجم لغوي اشتمل على فوائد أثيرة، وفوائد كثيرة، من حسن الاختصار وتقريب العبارة، وتهذيب الكلام، وإيراد المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة، ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب: تخلص الواو من الياء، وذلك قسم يسم المصنفين بالعي والإعياء، وقيل انه مما تميز به هذا المعجم، زياداته على (الصحيح) بحيث لو أفردت، لجاءت قدر (الصحيح) فتنافس الناس فيه كتابة وشراء. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٣٠٦.

^{١٤٤} القاموس المحيط، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ص ١١٩.

^{١٤٥} انظر: ابن حنبل، احمد، فضائل الصحابة، الرقم: ٤٧٣، ط ١، تحقيق. وصي الله محمد عباس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ج ١، ص ٣٣١.

وقال الشاعر:

لا أَلْفَيْنَكَ ثَاوِيًّا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْعَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ^{١٤٦}

وقوله: (مُقَلَّصُ الْأَفْيَاءِ)، التقليل التسمير، والأفياء جمع فيء، وهو الظل، فشبه الإسلام بالظل قرب الزوال؛ لأنه يبلغ الغاية في النقصان، بخلاف أول النهار وآخره، والله دره في هذا التشبيه المناسب كحال الإسلام في الإبتداء والإنتهاء في النقصان عند الزوال، ويمكن أن يستنبط من هذا التشبيه، حاله بعد نزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، بحال الظل بعد الزوال في رجوعه إلى الزيادة بعد أن بلغ غاية النقصان حتى يبلغ النهاية عند غروب الشمس فيذهب ويضمحل بالكلية، كما أن الإسلام بعد موت عيسى عليه السلام كذلك فإن الساعة لا تقوم إلا على أشر^{١٤٧} الخلق كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (وَاهٍ)، أي: ضعيف، قال في القاموس: "وهي كوعى وولى، تحرق وانشق واسترخى رباطه انتهى"^{١٤٨}، وهو اسم فاعل مرفوع بضمزة مقدرة على الياء المحذوفة للإلتقاء الساكنين كقاضٍ.

^{١٤٦} ينسب البيت للشاعر صالح بن عبد القدوس، انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، التاريخ، (د.ط)، (د.م): المكتبة التوفيقية،

د.ت)، ج ١٠، ص ١٤٩.

^{١٤٧} في (ب) أشرار.

^{١٤٨} الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ -

٢٠٠٥ م)، ص ١١٣٤٥.

وقوله: (قَرَّاحٌ)، أي بلغ الغاية في الضعف، لأن القارح من الخيل وذو الحافر نظير البازل^{١٤٩} من الإبل، إلى أن قال في القاموس: "وقرح الفرس كمنع والقارح من ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل إلى أن قال: وقرح الفرس كمنع وخجل قروحا، وأقرح، وقارحة سنه، الذي صار به قارحا، وقروحه انتهاء سنه إلخ"^{١٥٠}.

وقوله: (لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ)، الرسم: ما يبقى من أثر الديار المدرسة التي ذهب أهلها عنها كالأثافي^{١٥١} ونحو ذلك، قال: ورسم دار وقفت في طله، وأراد بذلك؛ أنه لم يبق من الدين إلا ما هو مكتوب ومنقوش في الكتب دون العمل به؛ لأنه إذا ترك العمل ببعض خصاله فقد ذهب كله. وقوله: (وَأَسْمُهُ)، أي: التسمية بالإيمان والإسلام وخصاله: كالصلاة، والصوم، والزكاة، وقوله: (وَحُرْمَاتِ اللَّهِ قَدْ تُسْتَبَاحُ) أي: مناهي الله، كالخمر، والزنا، وسائر المنكر، وأراد باستباحته فعلها جهارا من غير أن ينكر أحد على فاعلها، فصارت كالشيء المباح الذي لا ينكر على فاعله وإن لم يدينوا بتحليلها؛ وذلك كجعل الظلمة في غضبهم أموال الموحدين، وما يأخذونه منهم من الخراج وما تفعله العرب من الغارات، وقتلهم للأنفس ونهبهم للأموال وقسمهم لها كقسم الغنائم التي يغنمها

^{١٤٩} الْبَازِلُ مِنَ الْإِبِلِ مَا دَخَلَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ، وَالذَّكْرُ وَالْأُنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ. انظر: المطرزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المغرب، (د.ط)، (د.م، دار الطناب العربي، د.ت)، ص ٤٣، مادة " ب ز ل " .

^{١٥٠} انظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

^{١٥١} الْأَثَافِيَّةُ: مَا يُوضَعُ عَلَيْهِ الْقِدْرُ وَالْجَنْعُ (الْأَثَافِيَّةُ) وَإِنْ شِمْتُ حَقَّقْتُ وَ (تَفَقَّى) الْقِدْرُ (تَثْفِيَّةً) وَضَعَهَا عَلَى (الْأَثَافِيَّةِ) وَ (أَثَفَاهَا) جَعَلَ هَا أَثَافِيَّةً. انظر: زين الدين الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٤٩ . مادة " ث ف ي " .

المسلمون من المشركين وغير ذلك، فتكون قد في كلامه للتحقيق؛ لأن هذا واقع كثيراً محقق ويحتمل أن تحمل الإباحة على حقيقتها، وهو ما تفعله بعض الجهلة من استحلالهم بعض المحرمات بالجهل منهم، فتكون قد للتقليل النسبي والله أعلم بمراده، والظاهر المعنى الأول.

وقوله: (فَمَا عَسَى يُجِدِّيهِ)، أي ينفعه بكاؤه وصياحه على ذهاب الدين، كما لا ينفعه ذلك على من مات وذهب من أحبابه، وحاصل معنى هذه الأبيات الثلاثة باختصار؛ أن الدين قد صار كالعسكر المنهزم الذي تبعه العدو في سرعة ذهابه واضمحلاله، وكالظل قرب الزوال في بلوغه غاية النقصان، وأنه قد ضعف وقهر وأنه صار كذي الحافر الذي كبر وقرح وبلغ غاية السن، وأنه لم يبق من الدين إلا رسمه، وهو أثر الشيء واسمه، وأن محارم الله تفعل جهاراً من غير إنكار على فاعله، فصارت كأنها مباحة فليبك باك أو يرفع صوته نائح عليه فلا ينفعه شيء من ذلك البكاء أو النياح.

ثم قال رحمه الله:

وَأُنْشِدُ اللَّهَ أَدِيباً رَأَى	عَيْباً أَقَامَ الْعُذْرَ لِي وَأَشَاحَ
فَلَسْتُ أَعْنِي رَابِعاً لِلْخَلِيلِ	وَلَا لِضَلِيلٍ مَجْنُونٍ إِمْلَاحَ
لَكِنْ خَطَايِي لِلَّذِي يَعْتَنِي	بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَالْإِفْتِصَاحِ

أقول قوله: (وَأُنْشِدُ اللَّهَ)، أي: أسأله بالله فאלله منصوب بنزع الخافض، وأديبا مفعول له قال

في القاموس: نشد الضالة نشدا ونشدة ونشدانا بكسرهما طلبها وعرفها، إلى أن قال وفلانا نشداً

قال له نشدتك الله أي سألتك بالله^{١٥٢}، والأديب العالم، والعيب الوصمة والقبح والنقصان، والمعنى أنه رأى عيباً في هذا النظم من جهة اللفظ والمعنى.

وقوله: (أَقَامَ الْعُذْرَ لِي)، مصدر بمعنى إقامة بحذف التاء للضرورة؛ لأن الكثير فيه إقامة بالتاء عوضاً عن ألف أفعال؛ لأن أصله أقوام فنقلت حركة الواو إلى القاف، فقلبت الواو ألفاً لتحريكها الأصلي وانفتاح ما قبلها الآن فالتقت ساكنة مع ألف أفعال فحذفت الثانية وهي ألف أفعال وخصت بالحذف دون الأولى لزيادتها، والأكثر أن يعوض^{١٥٣} عنها هاء التأنيث، وقد تحذف^{١٥٤} كما في أقام الصلاة، ومعني أقام العذر لي إدامته فهو مفعول ثاني لأنشد الله، ومفعول الأول أديباً، قال في مختار الصحاح^{١٥٥}: "وأقام الشيء أدامه^{١٥٦}"، ومنه أقام الصلاة، فعلى هذا يضبط العذر بالكسر للراء لخفضه بإضافة المصدر إليه، والذي رأيت من النسخ ضبط الراء من العذر بالفتح بناءً^{١٥٧} على أن أقام فعل ماضٍ، وهو غير مناسب للمقام إلا بتكلف إضمار أن وجعل المصدر المنسبك منها مفعول ثانٍ والله أعلم. والعذر معروف وهو: أن يحمل كلامه على وجه حسن بالتأويل المناسب.

^{١٥٢} الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

^{١٥٣} في (ب) يتعوض.

^{١٥٤} سقطت في (ب).

^{١٥٥} في (ب) مختصر الصحاح.

^{١٥٦} انظر: زين الدين الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص ٢٦٢.

^{١٥٧} جاء في (ب) بأقام بدل بناء.

وقوله: (وَأَشَاخُ)، كتب عليه بطرة المتن أعرض ولم يذكر هذا المعنى في القاموس وذكر معاني

أخرى غير مناسبة للمقام والله أعلم^{١٥٨}.

وقوله: (فَلَسْتُ أَغْنِي رَابِعاً لِلْحَلِيلِ)، يريد لست أقصد بكلامي هذا ومن أطلب منه العذر

والإعراض عن عما فيه من الخطأ الجاهل الذي جهله مركب، وهو الذي أشار إليه الخليل بن أحمد^{١٥٩}

وجعله القسم الرابع من الرجال، حيث قال: "الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم

فسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري

فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فافرضوه"^{١٦٠}، انتهى.

وقال الحكيم:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَدْرِ وَلَمْ تَكُنْ بِالَّذِي يُشَاوِرُ مَنْ يَدْرِ فَكَيْفَ إِذَا تَدْرِ
جَهَلْتَ فَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّكَ جَاهِلٌ فَكُنْ هَكَذَا اِرْضَا فَيَاطَكَ مَنْ يَدْرِ

^{١٥٨} الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

^{١٥٩} الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، (و: ١٠٠ هـ - ت: قيل ١٧٠ هـ)، إمام اللغة والأدب، يعد أبرز علم من علماء اللغة والأدب على مر العصور، له كتب كثيرة في اللغة العربية، أشهرها: "كتاب العين"، والذي يعد أول معجم عربي على الإطلاق، وكثير من الكتب الأخرى منها: "كتاب الشواهد"، "كتاب النقط والشكل"، "كتاب النغم"، كتاب في العوامل. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٧، ص ٤٣٠. وابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٤. والقفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م)، ج ١، ٣٨١.

^{١٦٠} انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، (د.ط)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ)، ج ٢، ص ١٤٢.

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنَّكَ لَا تَدْرِي وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي^{١٦١}

وقوله: (وَلَا لِضَلِيلٍ) أي: وليس كلامي وخطابي لمن كان^{١٦٢} كثير الضلال كما مرئ القيس^{١٦٣}،

الذي نظمه وشعره في العشق وذكر النساء وأوصافها.

وقوله: (مَجْنُونِ الْمَلَاخِ)، كتب عليه بهامش المتن مخالط ولعله تفسير بالازم، قال في القاموس:

"مجن مجونا صلب وغلظ ومنه الماجن لمن لا يبالي قولاً وفعلاً كأنه صلب الوجه، وقد مجن مجونا، ومجانة، ومجنا بالضم^{١٦٤} إلخ".

وقوله: (المَلَاخِ)، صفة لموصوف محذوف، أي: مخالط لنساء ملاح. وقوله: (لَكِنَّ خِطَابِي)،

استدراك على قوله ولست أعني إلخ أي: ولكن عنايتي وقصدي بنظمي ووعظي الرجل الذي يهتم

بالعلم، والتعلم، والتعليم، والأدب، ويفهم الكلام الفصيح، ويعتني به ويتدبر المعاني، ويقبل النصح

^{١٦١} أبيات الخليل بن أحمد الفراهيدي.

^{١٦٢} سقطت في (ب).

^{١٦٣} جندح بن حجر الكندي، أبو وهب، لقبه امرؤ القيس واشتهر به، ومعناه رجل الشدة، لقب به لما لقي من الشدائد. ولد امرؤ القيس في أوائل القرن السادس للمسيح في نجد، (و: نحو ١٣٠ - ٨٠ قم = نحو ٤٩٧ - ٤٥٤ م)، ويقال: إنه أصيب في عودته بالجدري، فمات، وقيل: إنه مات بسم سري في جسمه من حلة مسمومة، خلعها عليه عظيم الروم. انظر: الزوزني، حسين بن محمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، ط ١، (د.م)، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هجري - ٢٠٠٢ ميلادي)، ص ١٥ - ١٧ - ٢٥ - ٣١. المصطاوي، عبد الرحمن، ديوان امرئ القيس، أعنتى به. عبد الرحمن المصطاوي، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م)، ص ١٠.

^{١٦٤} انظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ١٢٣٣.

والحق ممن جاء به، والآداب جمع أدب، قال في القاموس: "الأدب، محركة: الظرف، وحسن

التناول"^{١٦٥} انتهى، وعرف بعضهم الأدب بمعرفة ما يحتز به عن الخطأ.

ثم قال رحمه الله تعالى:

هَذَا كَلَامِي وَالسَّلَامُ عَلَى	كُلِّ أَدِيبٍ مَا أَضَاءَتْ بَرَاحُ
أَبْنَاءَ جَنْسِي حَيْثُمَا قَطَنُوا	وَأَيْنَمَا حَلُّوا بِأَقْصَى النُّوَاخِ
خُصُّوا أَخَاكُمْ بِالدُّعَاءِ إِذَا	قَرَأْتُمُوهَا وَاعْمَلُوا بِالنِّصَاحِ

أقول قوله: (هَذَا كَلَامِي)، على حذف مضاف قبل الخبر، أي: هذا آخر كلامي في هذا

النظم، وها حرف تنبيه. وقوله: (وَالسَّلَامُ)، بمعنى التحية.

وقوله: (عَلَى كُلِّ أَدِيبٍ)، أي: عالم متأدب بآداب الشرع؛ بأن يلزم ما ندب إليه الشارع

من فعل الواجبات وترك المنهيات، والإنصاف من نفسه إلى جميع الخلق.

وقوله: (مَا أَضَاءَتْ)، ما ظرفية مصدرية، وأضاءت بمعنى أشرقت ولمعت. وقوله: (بَرَاحُ)، بباء

وراء بعدها ألف وحاء في جميع النسخ التي رأيت، وصوابه (بَوَاخُ) بواو بدل الراء، قال في القاموس:

"وبوح اسم الشمس"^{١٦٦}، ولم يذكر في براح بالراء هذا المعنى.

^{١٦٥} انظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٥٨.

^{١٦٦} انظر: الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص ٢١٤.

وقوله: (أَبْنَاءَ جِنْسِي)، عطف بيان على كل اديب، وأراد بهم أهل الدعوة. وقوله: (حَيْثُمَا قَطَّنُوا)، حيث: ظرف مكان، وقطنوا: أقاموا وحلوا، أي نزلوا وسكنوا. وقوله: (بِأَقْصَى النَّوَاحِ) أقصى معناه: أبعد، والنواح: جمع ناحية بمعنى الجهة، وحذف من آخره الياء لضرورة^{١٦٧} النظم، وهو معطوف على محذوف، أي: بأقرب النواحي وأقصاها.

وقوله: (خُصُّوا أَخَاكُمْ بِالْدُّعَاءِ)، المعنى إذا قرأتم هذه القصيدة فادعوا للمسلمين من أهل نخلتكم، وخصوا أخاكم في الدين وهو ناظمها من بينهم، لما أسدى إليكم من المعروف الذي في هذه المنظومة من المواعظ والنصائح، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا ذلك فادعوا له بالخير»^{١٦٨} فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين بالجنة العالية وجمعنا إياه مع النبيين والصديقين والشهداء وسائر العلماء العاملين.

وقوله: (وَأَعْمَلُوا بِالنِّصَاحِ)، جمع نصيحة، أي: أو اعملوا بما فيه من النصائح النافعة لكم في دنياكم وأخراكم.

^{١٦٧} أضيفت في (ب) للضرورة أي لضرورة النظم.

^{١٦٨} أخرجه الطيالسي بلفظ مقارب فيما نصّه: "عَنِ ابْنِ عُمرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَأَتْنُوا عَلَيْهِ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، انظر: الطيالسي، سليمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث: ٢٠٠٧، ط ١، (مصر: دار الهجرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ج ٣، ص ٤١١.

ولما فرغت من شرح مفردات ما اشتملت عليه القصيدة من جهة اللغة والمعنى، عن لي تذييله
 بخاتمة تتضمن ما ورد في فضل العلم وطالبه من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، والآثار المروية
 عن الأئمة، لما في ذلك من التحريض للطلبة، ووفاء بغرض الناظم رحمه الله من كتاب منهاج الطالبين
 للشيخ خميس بن سعيد^{١٦٩} العماني وغيره.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٢٦]، قيل معنى فهل من
 طالب علم فيعان عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «أطلبوا العلم ولو بالصين»^{١٧٠}، وقال: «عليكم
 بالعلم فإن المرء لا يدري متى يحتل إليه»^{١٧١}، أي: متى يحتج إليه والخلة الحاجة، وقال عمر رضي الله
 عنه: "تفقهوا قبل أن تسودوا"^{١٧٢}، يريد تعلموا في الصغر قبل أن تكونوا منظورين فتستحيوا من التعلم

^{١٦٩} خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي، (حي: ٢٢ جمادى الآخرة ١٠٧٠هـ / ٥ مارس ١٦٦٠م) قائد علامة،
 وقاض فقيه، وناظم للشعر، عاش في أواخر القرن العاشر والقرن الحادي عشر الهجري، من ولاية الرستاق، له عدة مؤلفات وآثار
 علمية، منها: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، منهج المريدين، كتاب إلى أفاضل ناصر بن مرشد، رسالة إلى المشايخ من أهل المغرب
 صادرة عن العلامة الشقصي على لسان الإمام ناصر بن مرشد. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء
 والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، ط ١، (مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٤.
^{١٧٠} البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار، رقم الحديث: ٩٥، ط ١، تحقيق. محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون،
 المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨م)، ج ١، ص ١٦٤.

^{١٧١} وجدته بلفظ آخر، ونصه: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي
 مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ». انظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي، رقم الحديث: ١٤٣، ط ١، تحقيق. مرزوق بن هياس
 آل مرزوق، (د.ن، طبع على نفقة رجل العمال جمعان بن حسن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، ج ١، ص ١٠٢.

^{١٧٢} انظر: وكيع بن الجراح، الزهد، رقم ١٠٢، ط ١، تحقيق. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (المدينة المنورة: مكتبة الدار،
 ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص ٣٢٧.

عند الكبر فنبقوا جهالا، وقال ابن عباس: "والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه" ^{١٧٣}.

وأحوج الناس إلى العلم وطلبه العلماء، لأنهم أعلام يقتدى بهم، وقيل لو كان الذي يعلم الدين في مشرق الأرض والذي يتعلمه في مغرب الأرض لكان عليه أن يخرج إليه ويتعلم منه دينه الذي تعبد الله به ولو على بطنه. وفسر مكحول قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، يعني به طلب العلم، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أطلبوا العلم فإن فيه حياة القلوب من الجهل ومصباح الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف به يبلغ العبيد منازل الأحرار وتبلغ الأحرار منازل الملوك ومجالسهم والدرجات العلى في الدنيا والآخرة» ^{١٧٤}، وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مشى في تعليم شيء من العلم، كتب الله له بكل خطوة من خطاه على ذلك عبادة ألف سنة قائما ليلها؛ صائما نهارها» ^{١٧٥}، وروى علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تنعل عبد ولا تخفف ولا

^{١٧٣} لم أجده منسوباً إليه وإنما وجدته منسوباً بلفظ مشابه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، رقم ٥، ط ١، تحقيق. علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٢٩٧.

^{١٧٤} ما وجدته أن هذا ليس حديثاً شريفاً وإنما هي مقولة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، نصه: "لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأبرار، ومجالس الملوك، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة". انظر: ابن بشران، عبد الملك بن محمد، أمالي ابن بشران، الرقم: ٩٩٩، ط ١، تحقيق. أحمد بن سليمان، (الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٢١.

^{١٧٥} ذكره الشقصي في منهج الطالبين بنفس اللفظ ولم يعزه إلى أحد، وبجته فلم أجد له تخريجا في مسند الإمام الربيع ولا في مدونة أبي غانم الخراساني ولا في الكتب التسعة، انظر: أبي غانم، بشر بن غانم، المدونة الكبرى، تحقيق. مصطفى بن صالح باجو،

لبس ثوبا ليغدوا في طلب العلم إلا غفر له حيث يخطوا عتبة باب بيته»^{١٧٦}، وقال صلى الله عليه وسلم: «سيأتي بعدي ناس من أقطار الأرض يلتمسون العلم فاستوصوا بهم خيرا»^{١٧٧}.

وقال ابن مسعود: "منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا"^{١٧٨}، أما طالب علم فإنه يزداد للرحمان رضا، وأما طالب دنيا فإنه يزداد طغيانا، ثم قرأ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق: ٦]،

ط ١، (مسقط: وزارة التراث والثقافة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، والشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ط ١، (مسقط: مكتبة مسقط، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٣٥.

^{١٧٦} وجدته بلفظ مقارب، فيما نصّه: "عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا انْتَعَلَ عَبْدٌ قَطُّ، وَلَا تَحْقِفَ، وَلَا لَيْسَ ثَوْبًا لِيُغْدُو فِي طَلَبِ عِلْمٍ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ حَيْثُ يَخْطُو عَتَبَةَ بَابِهِ»، انظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، رقم الحديث: ٥٧٢٢، د. ط، تحقيق. طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ج ٦، ص ٣٧.

^{١٧٧} أقرب رواية مشابهة للفظ هذا الحديث، هي رواية أبي داود في مسنده، نص الحديث: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ الْعَبْدِيُّ، قَالَ: «كُنَّا نَأْتِي أَبَا سَعِيدٍ، فَإِذَا رَأَيْنَا قَالَ: مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا: إِنَّهُ سَيَأْتِي قَوْمٌ يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ». انظر: أبو داود، سليمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث: ٢٣٠٥، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦٤٤.

^{١٧٨} هذه العبارة هي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجدتها مروية عن غير واحد من الصحابة، رويت عن ابن مسعود بهذا اللفظ في سنن الدارمي فيما نصّه: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، "مَنْهُومانِ لَا يَشْبَعَانِ: صَاحِبُ الْعِلْمِ، وَصَاحِبُ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِيَانِ. أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ، فَيَزِدُّهُ رِضًا لِلرَّحْمَنِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا، فَيَتَمَادَى فِي الطُّغْيَانِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ} لِيُطْعَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى {[العلق: ٧] قَالَ: وَقَالَ الْآخَرُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}. انظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)، رقم ٣٤٤، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٥٥. ورواية عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ مشابه في كتاب العلم: "حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ ثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَحْسَنُهُ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْهُومانِ لَا يَقْضِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا هَمَّتَهُ، مَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَا يَقْضِي هَمَّتَهُ، وَمَنْهُومٌ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا لَا يَقْضِي هَمَّتَهُ» قال اللباني: صحيح بشواهده. انظر: زهير بن حرب، العلم، تحقيق. محمد ناصر الدين اللباني، رقم ١٤١، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ٣٣. وأوردها الحاكم بلفظ مشابه في المستدرک، يرويه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما نصّه: "أَعْنَى أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْهُومانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ". هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُجَرَّحْهُ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ عِلَّةً"،

وخير أيام المرء أيام أفناها في طلب العلم ودراسته، وقيل حفظ مسألة خير من عبادة ستين سنة، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سألت جبريل عليه السلام فقلت أي الجهاد أفضل قال طلب العلم قلت ثم ما بعده قال زيارة العلماء»^{١٧٩}.

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صحبة العلماء دين، ومجالستهم كرم، والنظر إليهم عبادة، والمشي معهم فخر، ومخالطتهم عز، والأكل معهم شفاء، تنزل عليهم ثلاثون رحمة وعلى غيرهم رحمة واحدة، هم أولياء الله، طوبى لمن خالطهم، خلقهم الله شفاء للناس، فمن حفظهم لم يندم، ومن خذلهم ندم، وشرف الله قلوب العلماء وسوى بين قلوبهم وبين اللوح المحفوظ فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾^(١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» [البروج: ٢١-٢٢]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] «^{١٨٠}.

انظر: الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، رقم ٣١٢، ط ١، تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ج ١، ص ١٦٩.

^{١٧٩} ذكره المالكي في غاية المطلوب في الأثر المنسوب ولم يعزه لأحد، وبجته فلم أجد له تخریجا في مسند الإمام الربيع ولا في مدونة أبي غانم الخراساني ولا في الكتب التسعة. انظر: أبو غانم، بشر بن غانم، المدونة الكبرى، مرجع سابق، والمالكي، عامر بن خميس، غاية المطلوب في الأثر المنسوب تحقيق. بدر بن سالم بن حمدان العبري، ط ١، (مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ١٠٥.

^{١٨٠} ذكره الشيخ الشقصي في منهج الطالبين ولم يعزه لأحد، وذكره المالكي في غاية المطلوب في الأثر المنسوب ولم يعزه لأحد أيضا، وبجته فلم أجد له تخریجا في مسند الإمام الربيع ولا في مدونة أبي غانم الخراساني ولا في الكتب التسعة. انظر: أبو غانم، بشر بن غانم، المدونة الكبرى، مرجع سابق، والشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ص ٣٥، والمالكي، عامر بن خميس، غاية المطلوب في الأثر المنسوب، مرجع سابق، ص ١٠٥.

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جلوس ساعة مع العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة لا يعصي الله فيها طرفة عين، والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في بيت الله الحرام، وزيارة العلماء أحب إلى الله من سبعين حجة مقبولة، ويكتب لمن جلس عند أهل العلم بكل حرف سمعه سبعون حجة وعمرة، وترجع له درجة وتنزل عليه الرحمة، وتجب له الجنة»^{١٨١}.

والناس عالم ومتعلم، فأما العالم فمستعين بعلمه ويزداد كل يوم بصرا وعلمًا، فإذا فقه أبصر، وإذا أبصر عمل، وإذا عمل رجا، وهذه الدرجة القصوى، وأما المتعلم فهو في زيادة، فمثله كمثل السراج، كلما كان دهنه أصفى وفتيله أغلظ كان أضوى وأنور؛ وذلك إذا كان المتعلم متواضعا لمن يتعلم منه استوجب من الله الإلهام في قلبه، وكان أقوى وأبصر، وهذه الدرجة الوسطى، وأما الجاهل فيزداد كل يوم جهلا إلى جهله لا يتواضع فيتعلم، ولا ينظر في أبواب الحكمة فيفهم، ومن أراد أن يستضيء بنور الحكمة فليألف أهل الفهم والعقل، ومن استخف بحقها نزع الله منه بركة العمل بها.

^{١٨١} ذكره الشيخ الشافعي في منهج الطالبين ولم يعزه لأحد، وذكره المالكي في غاية المطلوب في الأثر المنسوب ولم يعزه لأحد، وبحثته فلم أجد له تخريجا في مسند الإمام الربيع ولا في مدون أبي غانم الخراساني ولا في الكتب التسعة. انظر: أبو غانم، بشر بن غانم، المدونة الكبرى، مرجع سابق، والشافعي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ص ٣٥، والمالكي، عامر بن خميس، غاية المطلوب في الأثر المنسوب، مرجع سابق، ص ١٠٦.

وقال أبو علي^{١٨٢} رحمه الله: "العالم يسأل مسألة الجاهل ويحفظ حفظ العاقل"^{١٨٣}، وقال أبو عبد الله: "أول العلم الصمت، والثاني الإستماع، والثالث الحفظ، والرابع نشره والعمل به"^{١٨٤}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يريد الله به خيرا يفقهه في الدين»^{١٨٥}.

وقال عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا العلم قبل أن يرفع ورفعته ذهاب أهله»^{١٨٦}. وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^{١٨٧}، وقيل: العلم حياة الإسلام وعماد الدين، وقال صلى الله

^{١٨٢} موسى بن علي بن عزرة الأركوي، أبو علي، كان هو وأخوه من أجلة علماء زمانهم، وهم بما قيل: من بني سامة بن لؤي بن غالب. (و: ١٠ جمادى الآخرة ١٧٧هـ - ت: ربيع الأول ٢٣٠هـ)، وللشيخ موسى مؤلفات وأشهر مؤلفاته كتاب "الجامع" المسمى جامع موسى بن علي، ويظن كثير من العلماء والمؤرخين أن هذا الكتاب من جملة الكتب المفقودة. انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ط ٤، (د.م. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، ج ١، ص ٢٣٨-٢٤٨.

^{١٨٣} انظر: الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧.

^{١٨٤} وجدتها في كتاب إحياء علوم الدين ولكنها غير منسوبة لأبي عبد الله. ووجدتها بلفظها في كتاب منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. انظر: الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، تحقيق. هيئة التحقيق بدار الوعي العربي - حلب، ط ١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م)، ج ١، ص ٢٨. والشقصي، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧.

^{١٨٥} البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم الحديث: ٧١، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩.

^{١٨٦} ما وجدته هو ان هذا الحديث يرويه الصحابة دون نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، منها: رواية عن ابن مسعود نصه: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعُ، وَالتَّلَعُّقُ، وَالبِدْعُ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ». انظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي، رقم الحديث: ١٤٤، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥١.

^{١٨٧} انظر: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، رقم الحديث: ٢٢٤، د.ط، تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي، (د.م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج ١، ص ٨١.

عليه وسلم: «العلم يزيد الشريف ويرفع المملوك حتى يبلغ رتب المملوك»^{١٨٨}، والعلم خير من المال، المال محروس والعلم حارس، والمال ينقصه الإنفاق والعلم يزداد على الإنفاق.

وقال عبدالله بن عباس: "ذلت طالبا وعزرت مطلوبا"^{١٨٩}، وإذا أراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم، والمملك في علمائهم، وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنه: "وجدت عامة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار، وإني كنت لأقيل عند باب أحدهم في الهواجر، ولو شئت لأذن لي ولكن أبتغي طيبة نفسه والخفة على قلبه"^{١٩٠}، وقال عمر بن عبد العزيز: "ما قرن شيء إلى شيء لحسن من حلم إلى علم"^{١٩١}، وقال: "العلم زين للغني وعون للفقير"^{١٩٢}، وقال عروة بن الزبير لبنيه: "تعلموا فإن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار آخرين"^{١٩٣}، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تعلموا العلم، فإن تعلمه الله خشية، وطلبه عبادة، والبحث عنه

^{١٨٨} لم اجد هذا الحديث في كتب السنة، وما جدته كانت عبارة لابن عباس رضي الله عنه، مشابه أو في نفس المعنى، نصّها: "حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خِرَاشٍ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُرُوزِيُّ، نَا الْعَلَاءُ بْنُ عَمْرِو الْحَنْفِيُّ، نَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ أَبِي حُلْدَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ؛ قَالَ: كُنْتُ آتِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَفُرَيْشٌ حَوْلَهُ، فَيَأْخُذُ بِيَدِي، فَيَجْلِسُنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَتَعَامَزَتُ بِي فُرَيْشٌ، فَقَطِنَ هُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: هَكَذَا هَذَا الْعِلْمُ، يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا وَيُجْلِسُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْأَسِرَةِ". انظر: أبو بكر الدينوري، أحمد بن مروان، **المجالسة وجواهر العلم**، رقم: ٣٠٣، ط١، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (أم الحصم: جمعية التربية الإسلامية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ج٢، ص١٨٢.

^{١٨٩} انظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، رقم ١٣٣، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ)، ج٢، ص٨٠.

^{١٩٠} انظر: زهير بن حرب، **العلم**، مرجع سابق، ص٣١.

^{١٩١} انظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، د.ط، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ)، ج١، ص٢١٦.

^{١٩٢} انظر: أبو محمد المصري، عبد الله بن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق: أحمد عبيد، ط٦، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، ص١٥١.

^{١٩٣} انظر: الدارمي، محمد بن عبد الله، **مسند الدارمي (سنن الدارمي)**، رقم ٥٧١، مرجع سابق، ج١، ص٤٥٩.

جهاد، ومذاكرته تسبيح، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرية، العلم أنيس في الوحشة، وصديق في الغربة، ومحدث في الخلوة، وصاحب في السراء والضراء، وزين عند الأخلاء، وسلاح عند الأعداء، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخبر أئمة يقتص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم^{١٩٤}، وقال صلى الله عليه وسلم: «العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والرفق أخوه، والبر والده، والصبر أمير جنوده»^{١٩٥}.

وينبغي لطالب العلم أن يجتهد في طلبه ولا يدخله فتور ولا ملل، ولا يدخله حياء في محفل، ولا يرق وجهه عند سؤال، وقيل لبعض ملوك العجم، أيحسن بالشيخ الكبير أن يتعلم؟ فقال: ما أحسنت الحياة فالعلم يحسن. وقيل كتب رجل لابنه يا بني، أطلب العلم فإنه خير لك من أبيك وأملك، فإن استغنيت كان لك جمالا، وإن افتقرت كان لك ثروة ومالا، وكتب رجل إلى أخيه أنك قد أوتيت علما أنار الله به قلبك؛ فلا تطفئن نور علمك بالذنوب، فتكون في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بما اتاهم الله فتكون من الخاسرين، وقيل لرجل ما بلغ بك حب العلم؟ قال: إذا اغتممت سلمي، وإذا غضبت كفني، وإذا شكوت إلى الله دلني وشكاني، وإذا أهمني أمر خلصني.

^{١٩٤} انظر: الآجري، محمد بن الحسين، أخلاق العلماء، راجعه. إسماعيل بن محمد الأنصاري، د.ط، (المملكة العربية السعودية:

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ت)، ص ٣٤.

^{١٩٥} انظر: الحكيم الترمذي، محمد بن علي، نواذر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق. عبد الرحمن عميرة، د.ط، (بيروت:

دار الجيل، د.ت)، ج ١، ص ٢١٠.

وقيل كتب رجل إلى عبد الله بن عمر أن اكتب إلىّ بالعلم كله فكتب إليه عبد الله: "العلم كثير ولكن، إن استطعت أن تلقى الله خميص البطن من أموال الناس، سليم الظهر من دمائهم، كافا لسانك عن أعراضهم، لازما لجماعتهم فافعل"^{١٩٦}، جمع محاسن الأدب في أربع كلمات وقل لعالم خصال يعرف بها ويتميز بها من غيره، يحلم عمن ظلمه، ويتواضع لمن دونه، ويسابق من هو فوقه، وإن رأى بابا معروفا إنتهزه، ولا يفارقه الخوف، إن تكلم غنم، وإن سكت سلم، وإن اعترضت له فتنة اعتصم بالله عز وجل.

وقيل لا يحب العلم إلا من أحبه الله، ولا يبغض العلم إلا من أبغضه الله، وقيل لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا. وقيل الجهل داء، والعلم دواء، والجهل عورة تستر، والعلم زينة تظهر، والجهل أقبح ما في الإنسان، والعلم أصلح ما فيه، ومن جهل شيئا فقد عاداه. وقيل المرء عدو ما جهل، كذلك الأمم لما جهلوا فضل أنبيائهم ونبوءتهم عادوهم وحاربوهم؛ إلا من عرف فضلهم وصدق نبوءتهم. ومن علامة الجاهل؛ أنك تجده للعلم معاديا وعليه زاريا وعنه منصرفا، يظلم من خالطه ويعتدي على من هدونه، ويطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تدبير، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة سقط فيها، وإن رأى فضيلة أعرض عنها، وقل ما تكون محنة فاضل الأمن

^{١٩٦} انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق. روحية النحاس وآخران، ط١، (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م)، ج١٣، ص١٧٢.

ناقص، وبلوى عالم الأمن جاهل، وقد نهي العلماء عن صحبة الجاهل، وقال أبو الدرداء: "علامة الجاهل ثلاث: العجب والنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهي عن شيء ويأتيه"^{١٩٧}.

وقال عمر بن عبد العزيز: "يعرف الجاهل بكثرة الإلتفات وسرعة الجواب"^{١٩٨}، وليس حاله أوضع لقدر الإنسان، ولا أضر عليه ولا أجلب للشر إليه، ولا أقبح لذكره، ولا أخط لقدره، ولا أذم لأمره من الجهل، وهو الداعي إلى العار، والهادي إلى النار، والمبعد عن السلامة، والمديني من الندامة، والسبب لكل معرة، والجالب لكل مضرة، والذاهب بخير الدنيا والآخرة، فالجاهل ميت وإن كان حيا، معدوم وإن كان شيئا، فقير وإن كان غنيا، فبالعلم يعرف الله ويوحّد، وبه يطاع الله ويعبد، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يتعلم العلم عذبه الله على الجهل»^{١٩٩}، فلا شيء أفضل عند الله من العلم والفقه، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة، ودعامة هذا الدين الفقه.

^{١٩٧} انظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج ٢، ص ٤٧.
^{١٩٨} وجدتها بلفظ مقارب، نصّه: "خصلتان لا تعدمانك من الجاهل: كثرة الإلتفات وسرعة الجواب". انظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٧.

^{١٩٩} لم أجده حديثا منسوبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل وجدتها مقولة للسلف الصالح تحت على طلب العلم، وهي بلفظ مقارب، نصّه: "من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل"، انظر: أبو عمر، يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط ١، (د.م، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، ج ١، ص ٦٨٩.

وقال علي بن ابي طالب: " كفى بالعلم شرفاً أن كل أحد يدعيه وإن لم يكن من أهله، وكفى بالجهل حزناً أن كل أحد يتبرأ منه وإن كان به موسوماً"^{٢٠٠}، وقيل العلم خير من كثير العبادات، والملوك حكام على الناس، والعالم حاكم على الملوك، وقيل لبعض الحكماء لا يجتمع العلم والمال، قال لعز الكمال. وقيل أن أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله كتفلة في بحر، وأعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة في بحر لجي، وكل ذلك عند طلب العلم كتفلة في بحر. والعلماء ورثة الأنبياء، وملح الأرض ومصايح الدنيا، والأدلاء عند العلماء والمشهورون في الأرض والسماء، ووفود الناس إلى الجنة.

وقيل: مداد العلماء يوزن بدم الشهداء يوم القيامة، ومن لم يحزنه موت عالم فهو منافق، ويكي لموت العالم سكان السماوات سبعين يوماً، فلا مصيبة أعظم من موت العالم، وما من مؤمن يحزن لموت العالم إلا كتب الله له ثواب ألف ألف عالم وألف ألف شاهد، ورفع له عمل ألف شهيد وقال صلى الله عليه وسلم: «من حقر العالم حقري، ومن حقري فله النار، ومن مشى خطوتين في

^{٢٠٠} وجدت هذه العبارة بلفظ مقارب جداً، نصّها: "كفى بالعلم شرفاً أنه يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه؛ وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه، يغضب إذا نسب إليه". انظر: الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط ١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢هـ)، ج ٤، ص ٣٧.

طلب العلم أو جلس في حلقة قدر فواق ناقة فقد وجبت له الجنة»^{٢٠١}، وفواق الناقة ما بين الحلبيتين ورجوع اللبن في الضرع بعد الحلب.

وقال صلى الله عليه وسلم: «سألت جبريل عن صاحب العلم فقال: هو سراج أمتك في الدنيا والآخرة»^{٢٠٢}، طوبى لمن عرفهم وأحبهم، وويل لمن أنكر معرفتهم وأبغضهم، وكفى بكتاب الله عز وجل حجة وشفاء في تفضيل العلم وأهله، قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، فأبي كلام أبلغ وأوعظ وأنفع وأبين من كلام رب العالمين، وهو الشفاء من كل داء، والنور والضياء، جعلنا الله ممن يعلمه وفهم معناه وعمل بما فيه وتأدب بمعانيه وقبل منا تلاواته، إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء. وقال: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، يرفع الله بالعلم اقواما ويجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم، وترفع أعمالهم، وترغب الملائكة في خلعتهم، وقيل مثل الألم الذي

^{٢٠١} ذكره الثميني في كتاب التاج المنظوم ولم يعزه إلى أحد، ولم أجده في مسند الإمام الربيع ولا في مدونة أبي غانم الخراساني ولا في الكتب التسعة، انظر: أبو غانم، بشر بن غانم، المدونة الكبرى، مرجع سابق، والثميني، عبد العزيز بن الحاج، التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم، ضبط النص. محمد موسى بابا عمي ومصطفى بن محمد شريف، ط ١، (د.م)، د.ن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، المجلد الأول، الباب الثاني، فضل العلم، ص ١٧.

^{٢٠٢} ذكره الصفوري في كتابه نزهة المجالس بلفظ مقارب ولم يعزه لأحد، نصه: "سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن صاحب العلم فقال: هو سراج أمتك في الدنيا والآخرة"، انظر: الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، د.ظ، (د.م: المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣هـ)، ج ٢، ص ٦٢.

يعلم الناس يريد به وجه الله، كمثل الشمس تضيئ للناس ولا ينقص منها شيء، ويقال أن العلماء غرباء لكثرة الجهال، وقيل مثل جليس الصدق كحامل الطيب إن لم يصبك منه أصابك من عرفه، ومثل جليس السوء مثل الكير، يعني: كير الحداد، إن لم يصبك شراره أصابك دخانه، ومن مواعظ عيسى عليه السلام: "بحق أقول لكم، أن شر الناس عالم يطلب الدنيا بعلمه، بحق أقول لكم يا معشر العلماء، لا تأخذوا للعلم ثمنا؛ فإنكم إن فعلتم ذلك سبقتم الزناة إلى النار"، وقال حذيفة بن اليماني: "ويل لطالب الدنيا بالدين، ومستحل الشبهة بالشهوة، والمفرق بين الناس بالنميمة"^{٢٠٣}.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أكل بعلمه جاء يوم القيامة وليس في وجهه مغرة»^{٢٠٤} من اللحم»^{٢٠٥}، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أشد الناس يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، ولكن تعلموا العلم لوجه الله والدار الآخرة»^{٢٠٦}، وقال أبو معاوية^{٢٠٧} في

^{٢٠٣} انظر: الشقصي: خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٩.

^{٢٠٤} كذا في الأصل والصواب: مُرْعَةٌ.

^{٢٠٥} لم أجد الحديث بهذا النص، وإنما وجدته بلفظ نصه: "أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ حَتَّى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُرْعَةٌ مِنْ لَحْمٍ». انظر: النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، رقم الحديث: ٢٥٨٥، مرجع سابق، ج ٥، ص ٩٤.

^{٢٠٦} ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، (بيروت: الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ج ٣، ص ٤٧٤.

^{٢٠٧} عزان بن صقر بن عزان، أبو معاوية، (ت: ٢٦٨ هـ/٨٨٢ م)، من آثاره: "رسالة في خلق القرآن (مخ)"، "تعليقات على بعض الكتب، تقييدات كثيرة لبعض تلامذته، أجوب كثيرة متفرقة في كتب الأثر، انظر: السعدي، فهد بن علي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٤٦-٣٤٧.

سيرته بعد نسبة أئمة المسلمين: " نسأل الله تعالى اللّحاق بهم، والإتباع لهم، والأخذ بسيرتهم، وأن يجعلنا ممن يطلب العلم للعمل به، ولا يطلبه للجدل؛ فإنه أفضل الأعمال بعد أداء الفرائض لمن أراد الله هدايته، وهو زين لمن يعلمه يريد به رضاء ربه، فتعلمه وعمل به، فهو زين له في دنياه ونجاة له في عقباه؛ ذلك للعاملين بما علمهم الله، لم يتعلموا العلم لطلب رئاسة ولا سياسة، ولا طلبوا به شرف المنازل ولا للمطامع، ولا للمشاكل، ولا يطلبون أن يكونوا به يكرمون، ولا به إلى السلطان يتوصلون ويتقربون، قد أكرموا عن الأدناس ولم يتقربوا به إلى الناس، فأولئك زادهم الله علما وزادهم حلما وفهما، فهم أولى بالعلم ممن أراد به تقربا إلى السلطان، وأمكن من نفسه كيد الشيطان، فسعى به إليهم وتوسل به عندهم، وكان جمعه للعلم لهم فأولئك قد جعل الله لهم في القلوب البغضة وأولئك قد استحقوا من الله السخطة، فلا جعلنا الله كذلك ولا سبيل أولئك" ^{٢٠٨}.

وفي الرواية عن ابن عباس انه قال: "لو أن أهل العلم أخذوا بحقه لأحبهم الله وملائكته والصالحون من عباده ولها بهم الناس، ولكن طلبوا الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس" ^{٢٠٩}، وقال ابن

^{٢٠٨} انظر: الشقصي: خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠.

^{٢٠٩} انظر: أبو عمر، يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، رقم ١١٣٦، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٥٥.

مسعود رضي الله عنه: "لو أن أهل العلم وضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكن وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا زمنهم فزهدوا فيهم"^{٢١٠}.

وعن الفضيل^{٢١١} أنه قال: "لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى أيضا؛ لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاء، ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا، فإننا لله وإنا إليه راجعون أعظم بها من مصيبة"^{٢١٢}،

^{٢١٠} لم أجد هذه العبارة بالنص الذي ذكر في المخطوط ولكن وجدتها مشابهاة في بعض الكلام ومختلفة قليلا في بعض الكلام. انظر: ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف، رقم الحديث: ٣٧٠٣٢، ط ١، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، (الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م)، ج ١٩، ص ٢٥٣.

^{٢١١} الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الميمى، أبو علي، (و: ١٠٧ هـ - ت: ١٨٧ هـ)، له الكثير من الكلام الحكيم الذي نقلته عنه الكتب منها: (ترك العمل لأجل الناس هو الرياء، والعمل لأجل الناس هو الشرك)، وعنه كذلك: (إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي)، انظر: السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، ص ٢٣. والقشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، د. ط (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج ١، ص ٤١. وقصة الفضيل بن عياض، د. طارق السويدان، <https://suwaidan.com>، نشر: ١٥ مارس ٢٠٢٢، أطلع: عليه ١٩ فبراير ٢٠٢٣.

^{٢١٢} وجدتها بلفظ مشابه مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات من الزيادة أو النقصان بين العبارتين، نصّها: "لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم، وشحوا على دينهم، وأعزوا هذا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى، إذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة. وانقاد لهم الناس فكانوا لهم تبعاء، ولكنهم ابتذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا، فهانوا وذلوا، ووجدوا لغامز «٣» فيهم مغمزا. فإن لله وإنا إليه راجعون، أعظم بها مصيبة". انظر: الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٤.

وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني^{٢١٣} أشعار في هذا المعنى، وقد أحسن فيها كل

الإحسان، فكأنما نسجت بطراز حسان وهي هذه:

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا	رَأَوْا رَجُلًا عَنِ مَوْقِفِ الدُّلِّ أَحْجَمًا
أَرَى النَّاسَ مَنْ ذَانَهُمْ وَهَانَ عِنْدَهُمْ	وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَمَا زِلْتُ مُنْحَازًا بِعَرْضِي جَانِبًا	مِنَ الدُّلِّ أَعْتَدْتُ الصِّيانَةَ مَعْنَمًا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَشْرَبٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى	وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحَرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
إِنْهَنَّا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهَا	خَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَ أَوْ لِمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفِزُّنِي	وَلَا كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَرْضًا مُنْعَمًا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلَّمَا	بَدَا طَمَعٌ صَيْرْتُهُ لِي سُلَّمًا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي	لِلْأَخْدِمِ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأُخْدَمَا
أَشْقَى فِيهِ غَرْسًا فَأَجْنِيهِ ذِلَّةً	إِذَا فَاتَّبَعَ الْجُهْلُ قَدْ كَانَ أَسْلَمًا
فَإِنْ قُلْتُ حَدَّ الْعِلْمِ كَابٍ فَإِنَّمَا	كَبَا حِينَ لَمْ يُحْرَسَ حِمَاهُ وَأَثَلَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ	وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لِعُظِّمَمَا
وَلَكِنْ هَانُوهُ فَهَانَ وَدَسُّوْا	مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا ^{٢١٤}

^{٢١٣} علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، أبو الحسن، (ت: ذي الحجة ٣٩٢هـ)، فقيه شافعي وأديب شاعر، له مؤلفات عديدة منها: كتاب الوساطة بين المتنبئ وخصومه، وله تفسير كبير، تهذيب التاريخ، وله ديوان شعر مشهور، انظر: الشيرازي، إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط ١. (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٧٠م)، ص ١٢٢. وابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٧٨-٢٨١. والذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٧، ص ١٩-٢١. والسبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، رقم ٢٢٩، ط ٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، (د.م هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ج ٣، ص ٤٥٩ - ٤٦٢.

^{٢١٤} أبيات القاضي أبي الحسن الجرجاني، (سبق التعريف به)، انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ج ٤، ص ١٧٩٧.

وقال أبو سعيد^{٢١٥} رحمه الله: "ينبغي لطالب العلم والحكمة، أن يذكر كل شخص رآه، فإن وجده أعلم منه فهو غنيمة، فإن كان هو أعلم من ذلك الشخص فذلك موضع ربحه، وأما أن يكونا سواء فذلك موضع تجارته يعطي ويأخذ إذا صدقت نيته في ذلك"^{٢١٦}، وقال الخليل بن أحمد: "كن على مدراسة ما في قلبك أحرص منك على ما في كتبك، واجعل في كتبك رأس مالك وما في قلبك للنفقة، وقيل لا كنز انفع من العلم، ولا مال أربح من الحلم، ولا حسب أرفع من الدب"^{٢١٧}، وقال بعض البلغاء: من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفتته سلوة، ومن آنسته قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان، ومن آداب العلماء النصيحة لمن يعلموا والرفق بهم، ولا يعنفوا معلما ولا يحقروا ناشئا متعلما، ولا يستصغروا مبتدئا، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علموا ولا تعنفوا فإن العلم خير من العنف»^{٢١٨}، ومن آدابهم أن لا يمنعوا طالبا ولا ينفروا راغبا،

^{٢١٥} هو العالم المحقق، والفقيه المدقق، وإمام العلم، الشيخ العلامة، محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الناعبي الكدومي، (و: ~ ٣٠٥ هـ / ٩١٨ م - حي: ١٣ ربيع الأول ٣٦١ هـ / ٣ يناير ٩٧٢ م)، عاش في القرن الرابع الهجري، له العديد من الآثار العلمية: ١. المعتبر للجامع ابن جعفر، تعقب فيه أبو جامع ابن جعفر، وفصل المجملات، وأوضح المشكلات، وحلل المسائل، يقع في تسع مجلدات ولكن فقدت أغلبها ولم يبق منها إلا جزآن. ٢. الإستقامة، الفقه في الرد على من خالف سيرة السلف الصالح في الحكم على بعض الخارجين في زمان الإمام الصلت، وقد طبع في ثلاثة أجزاء. ٣. زياداته على كتاب الإشراف لابن المنذر النيسابوري، وهو في حقيقته، تعليقات للإمام أبي سعيد على الكتاب، يضيف فيها آراء المذهب الإباضي. وغيرها الكثير من الآثار الكثيرة. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، مرجع سابق، ج ٣، ص ٩٩.

^{٢١٦} الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠ - ٥١.

^{٢١٧} المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٣، (القاهرة: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م)، ج ١، ص ٢٤٠.

^{٢١٨} أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث: ٢٦٥٩، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٦٩.

ولا يئسوا متعلما ولا يلبسوا على متفهم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا انبئكم بالفقيه كل الفقه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يئسهم من رحمته الله»^{٢١٩}.

وينبغي للعالم أن يكون أوسع الناس صدرا، وأكثرهم صبرا، وأجملهم لقاء، وأحسنهم خلقا، لأن المتعلمين منه والمتحملين منه يأخذون أخلاقه ويحتذون طريقه، ليكون لهم إلى أسنى الأفعال منها حاو غير الضلال سراجا، ويجب على العالم أن يوقر المتعلم كما يجب على المتعلم ذلك، لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه العلم»^{٢٢٠}، وقال بعض الحكماء: من طلب العلم من غير تكلف مؤنة واحتمال نصب فقد التمس ملا يجحد. وقيل: كثرة العلم بكثرة الأذى، فمن ازداد علما ازداد نصبا، قيل: لا يدرك العلم من لا يطيل درسه، ولا يكد نفسه ولا يصبر عليه، إلا من يرى العلم مغنما، والجهالة مغرما، وربما اشتغل المتعلم بكثرة الدرس والحفظ، واتكل على الرجوع إلى الكتب، فهو كمن ألصق ما صاده ثقة بالقدرة عليه، فأعقبته الثقة خجلا وندما والعرب تقول: حرف في قلبك خير من ألف في كتابك.

^{٢١٩} أبو داود، سليمان السجستاني، الزهد، رقم الحديث: ١٠٤، ط١، تحقيق. أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد وآخرون، (حلوان: دار المشكاة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص ١١٥.

^{٢٢٠} ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، زهر الفردوس، رقم الحديث: ٢٦٢٨، ط١، تحقيق. وسيم عصام شبلي، (دبي: جمعية دار البر، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، ج ٧، ص ٥.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مذاكرة ساعة للعلم أحب إلى الله من عبادة عشرة آلاف سنة»^{٢٢١}، وقال أبو محمد رحمه الله: " هذا العلم لا يدركه إلا من أسهر ليله بالتلاوة، واشتغل نهاره بالبحث عن الرواية؛ حتى يحفظ لفظ الآيات ويعرف المحكمات من المتشابهات والناسخات من المنسوخات، فأما من أنبذ القرآن وراء ظهره وقطع بالبطالة أيام عمره، ثم يعرض للخوف فيه ولم يقف على معانيه، لم يكن له عدوا عدى من لسانه ولا ناصح أعدل من شأنه"^{٢٢٢}.

فرحم الله امرأ اقتدى بفرائض الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل العلم شعاره ودثاره، وأخذ نفسه بالتعلم، وجعل الفقه همه واقتدى بأشياخه السالفين، واتبع آثارهم واهتدى بمن أدرك منهم، وأجاد الإستماع عنهم وصدق الرواية ونصح لله جل اسمه، وأحب لله ورسوله وأبغض لهما وراح متعلما أو عالما أو مستمعا، واهتدى بقول النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ به، وقال أبو الدرداء: "إن أخوف ما أخاف أن يقال علمت فما عملت فيما علمت"^{٢٢٣}، وعن عيسى عليه السلام انه قال: "يا صاحب العلم إنه كما لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد، كذلك لا يجتمع العلم

^{٢٢١} لم أجد هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما وجدتها مقولة لابن عباس رضي الله عنه بلفظ: "وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالُوَيْهِ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: مُذَاكَرَةُ الْعِلْمِ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ إِحْيَاءِ لَيْلَةٍ". انظر: البيهقي، أبو بكر، المدخل إلى السنن الكبرى، رقم: ٤٥٩. تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (د.ط)، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د.ت)، ص ٣٠٥.

^{٢٢٢} انظر: الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٣.

^{٢٢٣} وجدتها بلفظ مقارب، نصه: "إن أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة علمت؟ فأقول: نعم، فيقال: فما عملت فيما علمت"، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٠٨.

والدنيا في قلب واحد"، وقال: "يذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذا وعوه الطمع والشره وطلب الحوائج إلى الناس"، وقال: "الفقيه بلا ورع كالسراج في البيت يحرق نفسه ويضيء للناس".

ومن كتاب يذكر فيه سير بعض أصحابنا، ويقال العلم نور والجهل ظلمة، فمن رزقه الله العلم فقد رزقه خير الدنيا والآخرة، ومن فاته حرم عليه خير كثير، وأن العلم لا يكون إلا بالطلب ولا ينفع إلا بالعمل به، ومن أراد العلم فليحقر نفسه ويتواضع قدام معلمه، عسى أن يستخرج ما عنده من العلم، ولا يزعم في نفسه المعرفة ولو عرف، ويأخذ منه كلما سمعه مما أفناه مما وافق الصواب، فإن زل عالمه في الجواب أعاد عليه السؤال فرما يكون الزلل من المتعلم وربما يكون من العالم إذا خال قلبه ما يشغله، لأنهم قالوا ثم أوقات لا يسأل فيها العالم، ويستحب للعالم أن يحرص فيمن يتعلم عنده ويفهمه إذا كان لذلك أهلا، وقد قال رحمه الله: لا ينبغي للعالم أن يفتي بكل ما عنده إلا أن يكون المتعلم ورعا يطمع فيه العالم أن يحيي الدين والعلم بعده، فإن لم يطمع فيه ما ذكرنا فلا يطلع على خزائن العلم من الرخص وشواذ اهل العلم، وقد قال ذات مرة: أحببت ثلاثة في الدنيا، تلميذا جيدا إذا كان من دار ينسب إليهم العلم، عسى أن يحيي العلم والدين مثل من سلف من آبائه، ورجلا ورعا في دين الله، ورجلا قائما بالدنيا.

وقال أيضا: ثلاثة لو أصبت أطعمت أحدهم قوتا، والآخر أشبعه، والثالث لو أصبت ما أطعمته شيئا، قال: أما الذي لا بد له من القوت فالتعلم؛ فإن جاوز القوت فلا يصح منه تعليم،

والذي أريد أن أشبعه من قام بالدنيا؛ فإنه لا يقدر على شغل الدنيا إلا بالشبع، وأما الذي لا أريد أن اطعمه شيئاً فالبطل الذي لم يشتغل بالدنيا ولا بالآخرة، وحكى أبو محمد عن أحمد بن حسين^{٢٢٤} كان يدفع إليه أبوه كل سنة جارية ومائة دينار في الموضع الذي يتعلم فيه لنفقته، حتى أدرك ما أدرك وقد قيل ألف ألف كتاب حتى ألف كتابين في السحر فيما قيل، وكان يؤلف الجوهرة فإذا نسخه أخرج الجوهرة فأضاءت له حتى ينسخ إلى ذات مرة دبر سبعين مسألة، وأخرج الجوهرة ليكتبها فقالت له خادمة: أين البصلة؟ فذهبت له المسائل؛ فمن ذلك قيل: من اشتغل ببصلة لم ينتفع بمسألة.

وعن أبي محمد خصيب^{٢٢٥} جاز في تنو مات على متعلم يريد أن يتعلم عند أبي الربيع في لالة، فقال له: أين تريد؟ فاخبره فقال له جيد يا بني جيد، إلا العالم والعلم فيها دليل ركعتان من عالم، خير من عبادة الجاهل ستين سنة، الجاهل كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح، فعليكم بالعلم والطلب؛ فإن الأولين يطلبونه فيما قرب وبعد، وأهل هذا الزمان لا يطلبونه فيما قرب، فكيف يطلبونه فيما بعد، والأولون أفنوا أعمارهم عليه حتى قال أبو محمد رحمه الله: أن أبا يوسف التنزغتي^{٢٢٦}

^{٢٢٤} لم أجد له ترجمة.

^{٢٢٥} خصيب بن إبراهيم التميمي، أبو محمد، (النصف الثاني ق: ٤٠١ هـ)، من اعلام جبل نفوسة، له مسجد باسمه في جبل نفوسة، "مسجد أبي محمد خصيب" رحمه الله رحمة واسعة. انظر: بابا عمتي، ابن موسى، محمد وآخرون، معجم اعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب العربي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٣.

^{٢٢٦} هو مجدول التنزغتي النفوسي، أبو يوسف، ذو البصيرة النافذة والعزيمة الناصبة، جمع مع العلم والتقى، المال والدنيا، له منها الحظ الوافر، ومن الدين النصيب الأوفى، أخذ العلم من معدنيه وشربه من منبعه، أبي محمد الكباوي، وأبي محمد الدري، وكان

قعد للعلم اثنين وثلاثين سنة خمسة عشر عند أبي محمد الكباوي^{٢٢٧}، وسبعة عشر عند أبي محمد الدري^{٢٢٨}، وأبو زكريا الجناوني^{٢٢٩} مكث في التعليم اثنين وثلاثين سنة، وكان مفتي نفوسة بعد الشيخ أبي الربيع، وربما سئل ولا يقول الله اعلم في مسألة لكثرة علمه، وقيل عنه إذا سئل وأحسن السائل سؤاله أجابه، وإن لم يحسنه حسنه فأجابه به، ويقول: "لولا أن لكل ساقطة لاقطة لسكتنا عن هذا الجواب" انتهى.

دعاء يدعى به عند المطالعة وعند القعود في الدرس، وما يعين على الحفظ وما يورث النسيان نختتم به خاتمة الكتاب، قال في المستطرف: "وفي الأثر إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت: الحمد لله وسبحان الله ولا إله

كثير السؤال لشيخه أبي محمد الدري قال له مرة: ليس لك يا مجدول إلا السؤال. انظر: الشماخي، أحمد بن سعيد، السير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٢.

^{٢٢٧} يصلين الكباوي، أبو محمد، الكباوي نسبة إلى كباو، عاش في القرن (٤هـ / ١٠م)، وهي من قرى جبل نفوسة بليبيا، أشهر بكنيته لا باسمه: (أبو محمد الكباوي). نشأ في أحضان أم قاسية لم تهتم به كثيرا، إلا أن ربيبه الشيخ أبا هارون موسى بن يونس الجاللي تفرس فيه الخير فضمه إلى تلامذته، فكان من أبرزهم. انظر: بابا عميتي، ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب العربي، (مرجع سابق)، ج ١، ص ٤٧١.

^{٢٢٨} ملي الإدريفي، أبو محمد، (و: ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م - ت: ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، من مشايخ جبل نفوسة بليبيا، شيخ التقوى والورع والكرامات. كان من خيار أهل الدعوة، عاصر الشيخ عمرو بن فتح، وأبا نوع سعيد بن زغيل النفوسيين. مارس الفلاحة واهتم بالتعليم، من تلامذته: أبو يوسف مجدول التنزغي، انظر: بابا عميتي، ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب العربي، (مرجع سابق)، ج ٢، ص ٤٢٤.

^{٢٢٩} يحيى بن الخير الجناوني، أبو زكرياء، (ق: ٥هـ/ ١١م)، من العلماء الأعلام بجبل نفوسة بليبيا، من قرية إجاناون. وهو حلقة في سلسلة نسب الدين، له كتب وآثار كثيرة، منها: عقيدة نفوسة (مط)، كتاب الحكام (مخ)، كتاب الصوم (مط)، كتاب النكاح (مط)، كتاب الوضع، انظر: بابا عميتي، ابن موسى، محمد وآخرون، معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم المغرب العربي، (مرجع سابق)، ج ٢، ص ٤٥٦.

إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب أو يكتب أبد الآبدين
ودهر الداهرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم افتح علينا حكمتك
وانشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والإكرام، آمنت بالله الواحد الأحد الحق لا شريك له، وكفرت بما
سواه ففهمناها سليمان، يا حي يا قيوم يا رب موسى وهارون، و يا رب إبراهيم، و يا رب محمد
صلى الله عليه وسلم، ألزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين" ٢٣٠،
انتهى.

وقال في بعض الكتب: وأقوى أسباب الحفظ الجد، والمواظبة، وتقليل الغذاء، وصلوات
الليل وقراءة القرآن من أسباب الحفظ، قيل ليس شيء أزيد للحفظ من قراءة القرآن نظرا، إن قراءة
القرآن نظرا أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل أعمال امتي قراءة القرآن» ٢٣١، نظرا والسواك
وشرب العسل، وأكل الكندر وهو اللبان مع السكر، وأكل إحدى وعشرين زبينة حمراء كل يوم على
الريق تورث الحفظ، ويشفي من كثير من الأمراض والسقام، وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في
الحفظ، وأكل ما يزيد في البلغم يورث النسيان، ومما يورث النسيان: المعاصي، وكثرة الذنوب، والهموم
والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الأشغال، والعلائق، وقد ذكر أنه لا ينبغي للعاقل أن يهتم لأمر

٢٣٠ انظر: الأبيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، مرجع سابق، ص ٢٩.

٢٣١ فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ط ٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج ٢٣، ص ٣٦٩.

الدنيا؛ لأنه يضر ولا ينفع، وهموم الدنيا لا تخلوا من حدوث الظلمة في القلب، وهموم الآخرة لا تخلوا من النور، ويظهر أثره في الصلاة، وهم الدنيا يمنعه من الخير، وهم الآخرة يحمله عليه، والإشتغال بالصلاة مع الخشوع، وتحصيل العلوم ينفي الهم والحزن وما عداه باطل، ومما يورث النسيان: أكل الكزبرة، والرطوبة، والتفاح الحامض، والنظر إلى المصلوب، وقراءة ألواح القبور، والمرور بين أقطار الجمال، وإلقاء القمل الحي على الأرض، والحجامة على نقرة القفا، والله أعلم.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الشرح، ونسأل الله تعالى أن يجعله خالصا، وعن العجب والربا قالصا، والمسؤول ممن طالعه من الإخوان أن ينظر فيه بعين الرضا والإحسان، وأن يصلح ما بان له من الخطأ بعد التأمل والإمعان، وأن يحضر في قلبه أن الإنسان محل للخطأ والنسيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم والبيان، والحمد لله رب العالمين.

ملحق

هذا ملحق بأبيات القصيدة الحائية للشيخ أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي التي تناولها الشرح في التحقيق، وهي من البيت ٨٩ إلى نهاية القصيدة وهو البيت رقم ١٠٠.

لَا تَسْأَلُوا عَنْ شَأْنِ هَذَا الْوَرَى كُلُّ غَرِيقٍ لَيْسَ يَذْهَبُ السَّبَّاحُ
لَمْ تَلَقَ إِلَّا ذُبَابًا أَوْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ عَقْرَبًا أَوْ إِمَاحَ
حَذَارٍ مِنْ دِينِكَ أَنْ يُحْطَفَا حُطَفَ عِقْبَنَاتٍ لُحُومَ الْأَصَاخِ
فَالَّذِينَ فَلَّ بَلَّ طَرِيدٌ غَرِيبٌ مُقْلِصُ الْأَفْيَاءِ وَاهٍ قَرَاخِ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ وَاسْمُهُ وَحُرُمَاتُ اللَّهِ قَدْ تُسْتَبَاحُ
فَلْيَبْكْ بَاكِ أَوْ يَنْحُ شَجَنًا فَمَا عَسَى يُجْدِيهِ صَاحٍ وَنَاخِ
وَأُنْشِدُ اللَّهَ أَدِيبًا رَأَى عَيْنًا أَقَامَ الْعُدَرَ لِي وَأَشَاخِ
فَلَسْتُ أَعْنِي رَابِعًا لِلْحَلِيلِ وَلَا لِضَلِيلٍ مَجُونٍ الْمَلَاخِ

لَكِنْ خِطَابِي لِلَّذِي يَعْتَنِي بِالْعِلْمِ وَالْآدَابِ وَالْإِفْتِصَاحِ

هَذَا كَلَامِي وَالسَّلَامُ عَلَى كُلِّ أَدِيبٍ مَا أَضَاءَتْ بِرَاحِ

أَنْبَاءٍ جَنْسِي حَيْثُمَا قَطَنُوا وَأَيْنَمَا حَلُّوا بِأَقْصَى النَّوَاحِ

خُصُّوا أَحَاكُمُ بِالِدُّعَاءِ إِذَا قَرَأْتُمُوهَا وَعَمَلُوا بِالنِّصَاحِ

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	الرعد	١٩	٨٤
﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾	العنكبوت	٤٩	٨٤، ٧٦
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر	٢٨	٨٤
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر	٩	٨٤
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾	القمر	٢٢	٧٣
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ﴾	الجمعة	١٠	٧٤

٧٦	٢٢، ٢١	البروج	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾
٧٥	٦	العلق	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث
٨٥	أشد الناس يوم القيامة عالم لم ينفعه
٧٤	اطلبوا العلم فإن فيه حياة القلوب
٧٨	اطلبوا العلم قبل أن يرفع ورفعه
٧٣	اطلبوا العلم ولو بالصين
٩٥	أفضل أعمال امتي قراءة القرآن
٩٠	ألا انبئكم بالفقيه كل الفقه
٨٠	العلم خليل المؤمن والحلم وزيره
٧٩	ألعلم يزيد الشريف ويرفع المملوك
٥٠	أن الأسد يقول في أزيه
٧٧	جلوس ساعة مع العلماء أحب إلى الله
٧٦	سألت جبريل عليه السلام
٨٤	سألت جبريل عن صاحب

٧٥	سيأتي بعدي ناس من أقطار الأرض يلتمسون
٧٦	صحبة العلماء دين
٨٩	علموا ولا تعنفوا فإن العلم خير من
٤٨	كانت امرأتان معهما إبناهما إذ جاء الذئب
٦١	ليأتين على الناس زمان يكونون فيه
٧٤	ما تنعل عبد ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدوا
٤٨	ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد
٧٢	من أسدى إليكم معروفا فكافئوه
٨٥	من أكل بعلمه جاء يوم القيامة وليس في وجهه
٨٣	من حقر العالم حقري ومن حقري
٨٢	من لم يتعلم العلم عذبه الله على الجهل
٧٤	من مشى في تعليم شيء من العلم كتب
٧٨	من يريد الله به خيرا
٩١	مذاكرة ساعة للعلم أحب إلى الله

٩٠	وقروا من تتعلمون منه
٦١	يا رسول الله كيف تكون أمتك بعدك في آخر الزمان

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	البحر	الشاعر	الصفحة
احفظ لسانك لا تقول فتبتلي	البحر الكامل	صالح بن عبد القدوس	٥٦
إذا أنت لم تدري ولم تكن بالذي	البحر الطويل	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٦٩
إذا لم يسألك الزمان فحارب	البحر الطويل	عمارة اليمني	٥٧
بقرت شويهي وفجعت قوما	البحر الوافر	أعرابية (غير معروفة)	٤٨
لا ألفينك ثاويا في غربة	البحر الكامل	سابق البربري	٦٥
يا راقداً والجليل يحفظه		ذو النون المصري	٥٨
يقولون لي فيك انقباض وإنما	البحر الطويل	أبو الحسن الجرجاني	٨٨

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
٥٢	إبراهيم بن أدهم
٥٦	الأبشيهي
٥٤	ابن الجوزي
٥٠	ابن خالويه
٨٩	أبو سعيد
٧٨	أبو علي
٨٥	أبو معاوية
٥٢	ارميا
٤٧	الأصمعي
٧٠	امرؤ القيس
٥١	بختنصر
٥٤	الحافظ أبو نعيم
٦٩	الخليل بن أحمد

٥١	دينال
٥٨	ذي النون المصري
٧٣	الشيخ خميس بن سعيد الشقصي
٨٨	عبد العزيز الجرجاني
٨٧	الفضيل بن عياض
٤٩	مالك بن دينار

قائمة المصادر والمراجع

- الأبيشي، محمد بن أحمد بن منصور، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩هـ.
- ابن أبي الضياف، أحمد، **إتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، د.ط، د.م، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٩م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، **الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد**، تحقيق: الدكتور عبد السلام محمد، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط ٣. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ابن بشران، عبد الملك بن محمد، **أما لي ابن بشران**، ط ١، تحقيق: أحمد بن سليمان، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، **زهر الفردوس**، ط ١، تحقيق: وسيم عصام شبلي، دبي: جمعية دار البر، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي، **وفيات العيان وأنباء أنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس. د.ط، بيروت: دار إصدار، د.ت.
- ابن سعد، محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ط ١، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، **جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور**. جمعها وقراها ووثقها. محمد الطاهر الميساوي، ط ١. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ.
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، **عيون الأخبار**، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١. د.م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، د.ط، تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي، د.م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، الحواشي. لليازجي وجماعة من اللغويين، ط ٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
- أبو بكر الدينوري، أحمد بن مروان، **المجالسة وجواهر العلم**، ط ١، تحقيق. مشهور بن حسن آل سلمان، أم الحصم: جمعية التربية الإسلامية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- أبو داود، سليمان السجستاني، **الزهد**، رقم الحديث: ١٠٤، ط ١، تحقيق. أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد وآخرون، حلوان: دار المشكاة للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الكسكاس، عاشور بن يوسف، **مرشد الطلاب تلخيص تحريض الطلبة**، د.ط، مسقط: مكتبة الإستقامة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو عمر، يوسف بن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق. أبو الأشبال الزهيري، ط ١، د.م، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- أبو محمد المصري، عبد الله بن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تحقيق. أحمد عبيد، ط ٦، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- أبو نصر، فتح بن نوح، **ديوان الشيخ أبو نصر فتح بن نوح**، ط ٢، غرداية: المطبعة العربية، ١٩٩١م.

- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، د.ط، د.م، مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- الآجري، محمد بن الحسين، **أخلاق العلماء**، راجعه. إسماعيل بن محمد الأنصاري، د.ط، المملكة العربية السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ت.
- أمال مسهل، **حمودة باشا الحسيني ودوره في بعث الوطنية التونسية**، د.ط، جامعة محمد بو ضياف - المسيلة، د.م، د.ت، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، طبع تحت مراقبة. محمد عبد المعيد، (د.ط)، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، د.ت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، ط ٥، تحقيق. مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، **مسند البزار**، رقم الحديث: ٩٥، ط ١، تحقيق. محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٨٨ م.
- البطاشي، سيف بن حمود بن حامد، **إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان**، ط ٤، د.م. مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- بكلي، عبد الرحمن بن عمر، **فتاوى البكري**، تحقيق. داود بن عيسى بورفيه، ط ١، غرداية: مكتبة البكري، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- البوصافي، راشد بن سالم، **جلي الشروح على نونية فتح بن نوح**، ط ١، بركاء: مكتبة خزائن الآثار، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، ط ٢، تحقيق. أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مصر: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- التيجاني، عبد الله بن محمد، **رحلة التيجاني**، قدم لها. حسن حسني عبد الوهاب، د.ط، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، د.ط، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق. أحمد عبد الغفور عفار، ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرک علی الصحيحین**، ط ١، تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- الحكيم الترمذي، محمد بن علي، **نوادير الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، تحقيق. عبد الرحمن عميرة، د.ط، بيروت: دار الجليل، د.ت.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، **معجم الأدباء**، تحقيق. إحسان عباس، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، ط ٢، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
- الخرائطي، محمد بن جعفر، **مكارم الأخلاق**، ط ١، تحقيق. أيمن عبد الجبار البحيري، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، **مسند الدارمي**، ط ١، تحقيق. مرزوق بن هياس آل مرزوق، د.ن، طبع على نفقة رجل العمال جمعان بن حسن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- الدميري، محمد بن موسى، **حياة الحيوان الكبرى**، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ جري.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق. مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٤١م.

- رزيقة محمدي، الإصلاحات الاقتصادية بآيالة تونس في عهد حمودة باشا، دراسة منشورة في مجلة كلية التربية الأساسية التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٠، كانون الأول / ٢٠١٦ م.
- الإمام، رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس، رسالة دكتوراه في الفلسفة، د. ط، بيروت: الجامعة الأمريكية، د. ت.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن فارس، الأعلام، ط ١٥. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٣١ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الزمخشري، جار الله، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط ١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤١٢ هـ.
- زهير بن حرب، العلم، تحقيق. محمد ناصر الدين اللباني، ، ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الزوزني، حسين بن محمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، ط ١، د. م، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- الزبيدي، مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ط ٣، عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م.
- زين الدين الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق. يوسف الشيخ محمد، ط ٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
- سالم بن يعقوب، آثار جزيرة جربة، حرر السلسلة. عبد الرحمن السلمي، ط ١، مسقط: بيت الغشام للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ م.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، رقم ٢٢٩، ط ٢، تحقيق. د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، د. م هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣ هـ.

- السعدي، فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق)، ط ١، مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا. ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- السنوسي، محمد بن عثمان، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق. الشيخ محمد الشاذلي النيفر، ط ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤ م.
- شبلي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ط ١١، القاهرة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٨٤ م.
- الشقصي، خميس بن سعيد، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ط ١، مسقط: مكتبة مسقط، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، تحقيق. إحسان عباس، ط ١. بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٧٠ م.
- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة. عبد الرزاق محمد حسن بركات، د.ط، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- الصفوري، عبد الرحمن بن عبد السلام، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، د.ط، د.م: المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣ هـ.
- الصلابي، علي محمد، الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج، ط ١، مسقط: مكتبة مسقط، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، د.ط، تحقيق. طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- الطيالسي، سليمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث: ٢٠٠٧، ط ١، مصر: دار الهجرة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

- عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ط ٢. طرابلس: جروس برس، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، تحقيق. هيئة التحقيق بدار الوعي العربي - حلب، ط ١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤م.
- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- القاضي التنوخي، المحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، د. ط د. م. د. ن، ١٣٩١هـ.
- القراري، إبراهيم بن بكير، شرح القصيدة الحائية، تحقيق. بشير بن موسى الحاج موسى، ط ١، برج البحري، بيك برنت، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، تحقيق. د. عبد الحلیم محمود، د. محمود بن الشريف، د. ط القاهرة: دار المعارف، د. ت.
- قصة الفضيل بن عياض، د. طارق السويدان، <https://suwaidan.com>، نشر: ١٥ مارس ٢٠٢٢، أطلع عليه ١٩ فبراير ٢٠٢٣.
- القفطي، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
- الكتاني، علي بن محمد، إنبعاث الإسلام في الأندلس، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- المالكي، عامر بن خميس، غاية المطلوب في الأثر المنسوب، تحقيق. بدر بن سالم بن حمدان العبري، ط ١، مسقط: مكتبة الجيل الواعد، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال، ط ٥، د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ١٤٣٣ هـ.
- محمد بن موسى وآخرون، معجم أعلام الإباضية قسم المغرب، راجعه. د. محمد صالح ناصر، ط ٢، د.م: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- مزهودي، مسعود، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ط ١، السيب: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.
- المصطاوي، عبد الرحمن، ديوان امرئ القيس، أعنتى به. عبد الرحمن المصطاوي، ط ٢، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- المطرزي، ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المغرب، د.ط، د.م، دار الطتاب العربي، د.ت.
- معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، راجعه. الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابيز، ط ١، السيب: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، ط ١، تصحيح. صححها جماعة، وقرئت على الشيخ: حسن محمد المسعودي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م.
- النووي، محي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه. شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٨ ذو الحجة ١٤٣١ هـ.
- وكيع بن الجراح، الزهد، ط ١، تحقيق. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.